دراسات في

قضايا مجتمعية . . . برؤية فلسفية

د . إبراهيم محمد رشاد إبراهيم

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب ـ جامعة جنوب الوادي

٢٠٢٣م

<u>بيانات الكتاب</u>

الكلية: الآداب بقنـــا

الفرقة: الثانية

التخصص: الفلسفة

اسم المقرر: قضايا مجتمعية

كود المقرر: فلس

الفصل الدراسي الثاني

تاريخ النشر:٢٠٢٣م

عدد الصفحات: (١٤٠) صفحة

الإعداد: أ.د.إبراهيم محمد رشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة: 32)

مقدمـــــــةعامـــــــة

نعرض فيما يلى مجموعة من الدراسات والموضوعات المتعلقة بالقضايا المجتمعية من زاوية فلسفية ، ناقشها مفكرينا المعاصرين ، وأحتلت أهمية كبرى في كتاباتهم.

القضية الأولى: قضية الزيادة السكانية حيث كانت ولا تزال هي التحدي الأكبر أمام الدول ، والإشكالية التي تقضي على أي إنجازات التنمية المستدامة أو جهود الدول لتحسين حياة المواطنين خاصة في ظل الجمهورية الجديدة ، ونتناول هنا المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية.

القضية الثانية هي الشفافية ومكافحة الفساد.

والقضية الثالثة : هي العولمة وأثرها على العقيدة وذلك من منظور فلسفي معاصر ، فلقد شغلت العولمة الناس كثيرا في الفترة الأخيرة ، فمنذ بداية التسعينات من القرن الماضي والحديث يجري على نطاق واسع في كل أنحاء العالم عن العولمة ، وبرزت تساؤلات كثيرة عن طبيعة العولمة وعن فرصها ومخاطرها وعن كيفية التعامل مع إفرازاتها؟ حتى أصبح من الواضح أن معظم التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية التي يشهدها العالم إما سبباً من أسباب العولمة وا ٍما نتيجةً من نتائجها . ولا شك أن الأديان والأيديولوجيات هي من أهم مظاهر العولمة الثقافية ، حيث تقوم العولمة الثقافية بنقل الثقافات والأفكار وحتى الأديان إلى المستوي العالمي ، ولاشك أن هذا الانتقال سوف يسمح بظهور مفاهيم جديدة وقيم وعادات وأنماط من السلوك مختلفة تماماً عن العقيدة الدينية الإسلامية ، لذا فإن من أهم مخاطر ها هو تهميش الثقافات وتهديد الخصوصيات ، ولهذا قمنا بدراسة العولمة مع دراسة فرصهاومخاطر ها ، وعلاقة العولمة بالدين وموقف مفكرينا وفلاسفتنا منها.

القضية الثانية: هي دراسة الحضارة وهي رؤية معاصرة عند مالك بن نبي وهذه الرؤية تلتقى في كثير من جوانبها مع ما قدمه ابن خلدون في دراسته للتاريخ والحضارة ، فقد كانت جهود مالك بن نبي لبناء في دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة ؛ سواء من حيث

المواضيع التي تناولها أو المناهج التي اعتمدها في ذلك التناول ، فلقد كان مفكراً معرفياً ، أدرك أزمة الأمة الفكرية ، وهو واحد من أهم رواد مدرسة إسلامية المعرفة ، فهو يعد أبرز مفكر عربي عُني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون ،أبدع مشروعا فكرياً للتغلب على مشكلات الحضارة من خلال رؤية تنطلق من الإسلام ، وتستلهم روح العصر، ومع أنه قد تمثل فلسفة الحضارة الحديثة تمثلا عميقا، واستلهم منها أعمال بعض الفلاسفة الغربيين فإن ابن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر.

لذا فهو يعد استمرارا للتيار الإصلاحي الذي قاده في مصر الشيخ محمد عبده، وفي الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس، كذلك الدعوة السلفية التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسميت بالوهابية ، وأيضا تناولنا دراسة علم الكلام الإسلامي برؤية نقدية.

والله ولي التوفيق ،،،،

د. إبراهيم محمد رشاد الحداد

الفصـــــل الأول

قضية الزيادة السكانية

الزيـــادة السكانيـــــــــــة

المشكلة السكانيةيُمكن تعريفها علميا بأنها اختلال التوازن بين عدد السكان من ناحية، وحجم الموارد الطبيعية والرأسمالية والمعرفة الفنية من ناحية أخرى،فالسكان كما يُنظر إليهم كقوة إنتاجية ووسيلة لاستغلال الموارد، كذلك هم أيضاً قوة استهلاكية تُمثل ضغطاً على الموارد المتاحة،ومن ثَمَّ يؤدي عدم التوازن بين السكان وحجم الموارد إلى وجود ما يعرف بالمشكلة السكانية.

التصدي لمشكلة الزيادة السكانية

و هذه الاستراتيجية ترتكز على ستة محاور هى: ١ـ الارتقاء بمستوى خدمات تنظيم الأسرة والصحة الإنجابية. ٢ـ والارتقاء بالخدمات الصحية للشباب والنشء. ٣ـ الارتقاء بخصائص المواطن المصري. ٤ـ دعم الاتجاهات نحو القضية السكانية. ٥ـ تمكين المرأة. ٦ـ تفعيل نظام المتابعة والتقييم.

وبالرغم من شمول هذه الاستراتيجية ، واستهدافها للقضايا المختلفة المتعلقة بالسكان والتنمية، إلا أن خطتها التنفيذية لم تشمل استثمار العدد الكبير من الشباب في مصر؛ حيث يمثل الشباب حوالي ثُلث السكان المصريين. وقد يشكل توظيف هؤلاء الشباب في جهود التنمية بصورة صحيحة دفعة كبيرة للاقتصاد. ويتطلب ذلك بالضرورة إعادة تأهيلهم بصورة تجعلهم قادرين على الإبداع والتطوير.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الحكومات المتعاقبة ونجحت من خلالها في مواجهة بعض مظاهر المشكلة السكانية، إلا أنها ظلت مقصورة على التعامل مع الأبعاد الاجتماعية والثقافية المرتبطة بإدراك غالبية المجتمع ورؤيتهم للمشكلة السكانية والتي ترتبط بأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية، ومن ثم ما يجب الوقوف عليه هو تحليل هذه الأسباب على مستوى كل محافظة، وربما على مستوى كل مدينة وحى لمعرفة الأوزان النسبية لتلك الأسباب، ذلك أن أسلوب المواجهة الشاملة ثبت عدم فعاليته، وبالتالي يجب أن تكون خطط

المواجهة متعددة ومرتبطة بخصوصية كل منطقة جغرافية، لاسيما مع الوضع في الاعتبار تباين واضح في درجة تطور المجتمع.

إن معظم العاملين في المجال الديموجرافي ، وكذلك واضعي السياسات ، يرون أن المشكلة السكانية في الدول النامية تكمن في عدم التناسب بين النمو السكاني المرتفع والموارد المحدودة، وهو ما يلقي الضوء على العوامل التي تتحكم في عملية السلوك الإنجابي للبشر الذي تشكله الثقافة والعادات والتقاليد ونظام القيم، وعلى رأسها المحيط الاجتماعي، وطبيعة علاقات الإنتاج السائدة. وعلى ضوء ذلك، يجب تبني رؤية شاملة ومتكاملة تنطلق من أن البشر هم ثروة مصر ، ومحاولة توظيف المكون الديموجرافي لصالح تطوير مؤشرات التنمية البشرية.

أهم التحديـــــات.

المشكلة السكانية تُعبر عن عدم التوازن بين عدد السكان والموارد والخدمات ، وقد تطور عدد سكان مصر عبر مائة عام ، حيث تجاوز الـ ١٠٥ مليون نسمة ، لتصبح الدولة رقم ١٤ على مستوى دول العالم من حيث عدد السكان ، وتتمثل أبرز تحديات المشكلة السكانية في ثلاثة أبعاد رئيسة متداخلة ومتشابكة على النحو التالي:

١-النمو السكاني المتزايد.

٢-الخصائص السكانية.

٣-توزيع السكان.

ويمكن القول إن اختزال المشكلة السكانية باعتبارها زيادة سكانية فقط يعد اختزالاً في أبعاد المشكلة، إذ يجب النظر إليها بصورة أشمل تتضمن أبعادها الثلاثة، وهى تراجع خصائص السكان (والتي تشمل التعليم، والصحة ، والمشاركة في قوة العمل، ومتوسط دخل الفرد) ، والتوزيع غير المتكافئ للسكان ، ووجود فجوات كبيرة بين مناطق الجمهورية المختلفة في

الوجه القبلي وخاصة في الريف، وكذلك بين الذكور والإناث في معظم المؤشرات التنموية.

تبدو إذن القضية السكانية معقدة بسبب تشابك ملفاتها ، خاصة وأن الوزن السكاني لأي دولة يمثل سلاحاً ذا حدين، فيمكن أن يمثل قيمة مضافة وثروة يجب استغلالها، كما يمكن أن يمثل عبئاً واستنزافاً للموارد، خاصة التي تتسم بالندرة في ظل تزايد الاحتياجات.

انطلاقاً من ذلك ، يمكن تناول عدد من الملاحظات الرئيسية المرتبطة بالقضية السكانية وآليات معالجتها، وذلك على النحو التالي:

١- تفرض القضية السكانية نفسه على الدولة والمجتمع ضمن أولويات عملية الإصلاح والبناء، وذلك بناءً على مخاطر استمرار الزيادة السكانية في ظل الضغط على الموارد.

٢-إن شبابية الهيكل السكاني توفر مزايا تتعلق بنسبة الإعالة والإنتاجية، إلا أنها تتطلب سياسات داعمة لهذا الهيكل كقيمة مضافة وثروة بشرية.

٣-إعادة النظر في عملية إدارة الاقتصاد والمجتمع حتى يمكن دفع عملية توظيف الطاقة البشرية، بالقدر الذي يسمح بتفعيل المشاركة والمسئولية المجتمعية ويزيد من معدلات التنمية.

٤-أهمية التنمية الإقليمية المتوازنة، ويعتمد ذلك على التحديد الدقيق للطاقة الاستيعابية السكانية لإقليم الوادي والدلتا، والحصر الدقيق للوجهات السكانية المناسبة لعملية الهجرة السكانية العكسية للأقاليم الجغرافية الجديدة، وتحديد إمكانياتها الاستيعابية من خلال الاستثمارات المتنوعة.

٥-أهمية صياغة سياسات تعليمية وتدريبية وصحية تهدف إلى تحسين خصائص السكان الاجتماعية والاقتصادية كي يصبح قوة محركة للتنمية الاقتصادية المطلوبة.

٦-ضرورة تحقيق التكامل بين مجموعة من المداخل الأساسية منها: زيادة الاعتماد على التصنيع وتحديث القطاع الزراعي، ورفع درجة الوعى المجتمعي، والارتقاء بمؤشرات التنمية

البشرية من تعليم وصحة وبيئة، وتفعيل أطر الشراكة بين القطاعات الثلاثة ـ الحكومة والخاص والأهلي ـ ودعم أطر الحوار المجتمعي وبلورة قوة مجتمعية قادرة على مواجهة القضية السكانية بكل أبعادها، حيث أن تكامل هذه الجهود هو الضامن لتحقيق التنمية المتوازنة.

أسباب مشكلة الزيادة السكانية

المشكلة السكانية تُعد من القضايا المعقدة بالغة التشعب من ناحية الأسباب والتداعيات ، خاصة وأنه كلا من الأسباب والتداعيات تؤدى كل منهما إلى الأخرى ، ولكن يمكن تحديد أسباب مشكلة الزيادة السكانية في الآتي:

١-الزيادة الطبيعية (ارتفاع عدد المواليد وانخفاض أعداد الوفيات).

٢-زيادة متوسط العمر المتوقع.

٣-التركيبة السكانية.

٤-الزواج المبكر.

الهجـــــــرة:

لاشك أن العدد الهائل من المهاجرين واللاجئين تسبب في زيادة الطلب على الخدمات والبضائع، والمنافسة الكبيرة مع المصريين للحصول على فرص العمل علاوة على زيادة الطلب على الوحدات السكنية والضغط على المرافق والبنية التحتية.

بالإضافة إلى أن الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن بحثا عن فرص العمل والسكن الملائم تسببت في إحداث كثافة سكانية في المدن الحضرية وضغطا هائلا على كافة الخدمات.

تطور الخدمـــــــات الطبيـــــة

تطور الخدمات الطبية أدى إلى علاج الكثير من الأمراض التي كانت تودي بحياة الملايين من المرضى وبالتالي انخفضت معدلات الوفيات فى ظل ارتفاع معدل المواليد كما أشرنا سابقا.

المشكلة السكانية وتداعياتها

المشكلة الزيادة السكانية تُعد من أبرز المعوقات أمام تحقيق خطط التنمية ، خاصة أن التوقعات الدولية فى هذا الشأن تؤكد حدوث كارثة سكانية فى حال استمرار معدل التزايد السكاني بشكله الحالي ويُمكن إجمال أبرز تداعيات المشكلة السكانية كما يلي:

فالزيادة السكانية الكبيرة من شأنها التأثير بشكل مباشر على تدنى الخصائص السكانية والتي تشمل:

١ـ التعليـــــــــــوالصحة وا إنتشار العنف والجريمة

تقف الزيادة السكانية حجر عثر أمام إصلاح المنظومة التعليميةوالصحية وا إنتشار العنف والجريمة ، إذ أن جودة الخدمة التعليمية تعتمد بشكل أساسي على عدد الطلاب ، كذلك الصحية وبالطبع كلما زاد عدد السكان انخفضت جودة الخدمة التعليمية والصحية المقدمة وبالتالى أدى ذلك إلى إنتشار العنف والجريكة داخل المجتمع.(١)

---

(١) أنظر في ذلك :١-إيمان مرعي. المشكلة السكانية ، السياسات والتحديات وتكامل الأدوار – مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية(ahram.org.eg) تم الاسترجاع في: ٢٠٢٣/٢/٤م-متاح في: https://acpss.ahram.org.eg/News/17268.aspx

٢- قراءة فىلمشكلة السكانية فى مصر..وحلول مُقترحة لمواجهتها(draya-eg.org)

تم الاسترجاع في: ٢٠٢٣/٢/٤م-متاح في:https://draya-eg.org/2022/09/12

الفصل الثاني

الشفافية ومكافحة الفساد

ماهيـــــة الفســـــاد الإداري

ظاهرة الفساد والفساد الإداري والمالي تعتبر بصورة خاصة ظاهرة عالمية شديدة الانتشار ذات جذور عميقة تأخذ إبعاداً واسعة تتداخل فيها عوامل مختلفة يصعب التمييز بينها، وتختلف درجة شموليتها من مجتمع إلى آخر. إذ حظيت ظاهرة الفساد في الآونة الأخيرة باهتمام الباحثين في مختلف الاختصاصات كالاقتصاد والقانون وعلم السياسة والاجتماع، كذلك تم تعريفه وفقاً لبعض المنظمات العالمية حتى أضحت ظاهرة لا يكاد يخلو مجتمع أو نظام سياسي منها.

أولاً: –تحديد مفهوم الفساد

يقتضي الاتفاق في معظم البحوث الأكاديمية على تحديد معنى المصطلحات المستخدمة ومضمونها حتى ينحصر الجدل في إطاره الموضوعي، واستناداً إلى ذلك، فإنه يمكن تعريف الفساد لغةً واصطلاحاً.

١ ـ تعريف الفســـــــادلغـــــويـاً

في معاجم اللغة الفسهو في (فسد) ضد صـَلُحَ (والفساد) لغة البطلان، فيقال فسد الشيء أي بطُلَ واضمحل، ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه. فهو (الجدب أو القحط) كما في قوله تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)(١) أو الطغيان والتجبر كما في قوله تعالى: (للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً (٢) أو عصيان لطاعة الله كما في قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً إن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم

---

(١) سورة الروم الآية : ٤١

(٢) سورة القصص الآية : ٨٣

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم عذاب عظيم) (١) ونرى في الآية الكريمة السابقة تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد على نحو كلي، وا ن لمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

٢ ـ الفساد اصطلاحـــــــا

ليس هناك تعريف محدد للفساد بالمعنى الذي يستخدم فيه هذا المصطلح اليوم ، لكن هناك اتجاهات مختلفة تتفق في كون الفساد هو إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص.

و الفساد عادة عندما يحدث يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز رشوة لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمناقصة عامة. كما يمكن للفساد إن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة من دون اللجوء إلى الرشوة وذلك بتعيين الأقارب ضمن منطق (المحسوبية) أو سرقة أموال مباشرةً .

إن ظاهرة الفساد الإداري ظاهرة طبيعية في المجتمعات الرأسمالية حيث تختلف درجات هذا الفساد إلى اختلاف تطور مؤسسة الدولة. إما في بلدان العالم الثالث فإن لفساد مؤسسات الدولة وتدني مستويات الرفاه الاجتماعي تصل إلى أقصى مدياتها، وهذا ناتج عن درجة التخلف وازدياد معدلات البطالة. فالفساد قد ينتشر في البنى التحتية في الدولة والمجتمع، وفي هذه الحالة يتسع وينتشر في الجهاز الوظيفي ونمط العلاقات المجتمعية فيبطئ من حركة تطور المجتمع ويقيد حوافز التقدم الاقتصادي.

ثانيـًا : الفســـــــاد الإداري و أسبـــــابه

أسباب الفساد الإداري هنالك الكثير من الأسباب التي تؤدي إلى نشوء حالات الفساد الإداري في المجتمع ولعل من أهمها ما يأتي:

---

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

١ـ الأسباب الإداريـــــة

من الأسباب المهمة لنشوء الفساد الإداري هي البيئة الإدارية ذاتها التي قد لا تتمتع بالوعي الذاتي والثقافي والذي يجعلها في منأى عن الفساد الإداري، واستغلال المناصب الإدارية، أيضاً سوء اختيار الأشخاص لشغل مناصب إدارية إما لضعفها أو لعدم تمتعها بالكفاءة العالية لشغل المنصب، هو أحد الأسباب المهمة للفساد الإداري.

٢ ـ الأسباب الاقتصادية

إن أهم الأسباب لنشوء ظاهرة الفساد الإداري هو عدم التوزيع العادل للثروات على أبناء المجتمع الواحد، فتجد أن الثروات تتركز بيد فئة معينة من المجتمع في حين أن الفئات الأخرى محرومة من الحصول على حقها الطبيعي ، وبالتالي تبرز لدى الكثير منهم سلوكيات منحرفة تنتهي بالكثيرين إلى استغلال مناصبهم العامة لتحقيق أقصى منفعة مالية.

٣ـ غياب المنظومة العقابية

من الأسباب المهمة لتفشي ظاهرة الفساد الإداري هو التساهل التام في معاقبة الأشخاص الذين تثبت عليهم تهمة الفساد الإداري، على الرغم من وجود التشريعات القانونية الواضحة والصريحة والتي تنص على معاقبتهم بالعديد من العقوبات لكن يبدو أنها قد يتم ت

ثالثا : مظـــــــاهر الفساد الإداري

ومن الجدير بالذكر أن للفساد الإداري الكثير من الطرق أو الآليات التي يتم بها ومنها دفع الرشاوي أو العمولات إلى الموظف أو المسؤول في الدولة، سواء في القطاع العام أو الخاص، كما وأن له العديد من المظاهر وهي:

١ـ استغلال المال العام للمصلحة الشخصية بهدف تحقيق منفعة له أو لأي شخص من أقاربه.

٢ـ استغلال المنصب في حجز المواقع الوظيفية العامة للأبناء أو الأقارب دون أي وجه حق. عدم احترام أوقات الدوام الرسمية من قبل الموظف العام سواء في الحضور أو الانصراف.

٣ـ عدم القيام بواجباته الوظيفية في خدمة المواطنين أو التراخي في تقديمها بسبب الإهمال أو رغبة في الحصول على مقابل مادي ، إفشاء أسرار الوظيفة العامة بهدف تحقيق منافع مالية.

٤ـ ما هو الفساد الإداري ؟ الفساد الإداري هو عبارة عن كل عمل يصدر بسبب سوء استخدام المنصب العام من أجل تحقيق منفعة شخصية لمصلحته الخاصة أو لصالح مجموعة من الناس، وحقيقة أن لهذا النوع من الفساد آثار سيئة للغاية على المجتمع كونه يصدر من أشخاص يتمتعون بالقدرة على اتخاذ القرارات العامة التي تمس حياة الكثير من البشر.

يبدو أن الفساد الإداري أضحى ظاهرة أخذت تجتاح الكثير من المجتمعات في الوقت الراهن، وهو نوع من أنواع الفساد الكثيرة والمتعددة، ولعله السبب وراء سعي الكثير من الدارسين والباحثين في مختلف المجالات مثل القانون والاقتصاد والسياسة والاجتماع إلى تحليل هذه الظاهر ومعرفة الأسباب التي تقف وراءها.

رابعـًا : آليات مكافحة الفساد الإداري

يمكن تلخيص آليات مكافحة الفساد الإداري بما يلي:

١. الإصلاح الإداري بالتخلص من السلوك الإداري الفاسد.

٢ـ تحسين الإدارة العامة من خلال وضع نظام عادل للتعيين.

٣ـ تقييم أداء الموظفين والمسؤولون وترقيتهم .

٤ـ زيادة رواتب الموظفين وتحسين مستوى المعيشة.

٥ـ العمل على إصلاح نظام الخدمة المدنية؛ من خلال معالجة الأسباب المنشئة للفساد الإداري والمالي.

٦ـ تفعيل دور المؤسسات الرقابية ، والتي لها الحق في الأشراف ومتابعة حالات الفساد الإداري والمالي، وتعزيز المسائلة والمحاسبة للأشخاص الذين يتولون المناصب العامة من خلال نظام قضائي مستقل ونزيه يعزز بسيادة القانون.

٧ـ الإصلاح الاجتماعي ، وذلك بالعمل على زيادة وعي الناس بمخاطر الفساد والتأكيد على دور الأسرة والمدرسة في غرس القيم الدينية والأخلاقية؛ كالصدق والأمانة والإخلاص والمهنية في العمل، وبناء الإنسان القدوة في ممارسته للمهنة وفضح الفاسدين.

٨ـ ومن مظاهر معالجة الفساد الإداري تبسيط وسائل العمل، وتحديد مهل أنجاز المعاملات يعبر أهم عامل في طريق مكافحة الفساد لأنه يضمن أمرين أساسيين يعول عليهما المواطن الأهمية الكبرى هما: –

أ. أنجاز معاملاته بأقل نفقة ممكنة.

ب. أنجاز معاملاته بأسرع وبأقرب مكان ممكن وبالتالي بأسرع وقت ممكن.

٩. أجراء تنقلات دورية بين الموظفين (كلما أمكن ذلك) يمكن أن يسهل ويعمل على تخفيض حالات الرشوة السائدة.

١٠. تشكيل لجان خاصة لوضع نظام متكامل لأداء الموظفين تقوم بإجراء تفتيش دوري بين الدوائر والوزارات وأعداد التقارير الخاصة بذلك.

١١. وضع مصنف يتضمن تقسيم الوظائف العامة على وفق طبيعة مهامها إلى فئات ورتب تتطلب من شاغليها مؤهلات ومعارف من مستوى واحد (أي اعتماد معيار الكفاءة والخبرة).

١٢. تحديد سلسلة رواتب لكل فئة من الفئات الواردة في المصنف بعد أجراء دراسة مقارنة للوظائف المتشابهة في القطاعين العام والخاص.

١٣ أنشاء نظام رقابي فعّال مستقل مهمته الإشراف ومتابعة الممارسات التي تتم من قبل الوزراء والموظفين العاملين في كل وزارة ومؤسسة.

١٤. تفعيل إدارة الخدمات بمعنى أن يطال جميع الإدارات والمؤسسات العامة والبلديات أي أن تعطى إدارات الخدمات ذات العلاقة بالجمهور الأولوية الأولى.

خامساً: الآثار المترتبة على الفساد الإداري في الجوانب الاقتصادية

١ـ تقليص معدلات التنمية ، والحد من الاستثمارات المباشرة.

٢ـانكماش موارد الدولة وإساءة استخدامها.

٣ـ ينتقص من الفاعلية الاقتصادية ومن عدالة توزيع الثروة والدخل القومي.

٤ـيساهم في تدني كفاءة الاستثمار العام وإضعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة.

٥. زيادة حجم المديونية الخارجية وعدم إمكانية سداد الدين وذلك لتوجيه الموارد إلى غير وظائفها الأساسية.

سادساً : الآثار المترتبة على الفساد الإداري في الجوانب الاجتماعية.

الفساد الإداريي عادة ما يسهم في إعادة تشكيل المشهد الاجتماعي ببعديه الإنساني والقيمي إذ أن ظهور الفساد الإداري والمالي في المجتمع واستشرائه واتساع نطاق مجال العناصر الفاسدة وكسبها للمنافع من جراء الممارسات المنحرفة يعمل على تشجيع العناصر الغير المتورطة بالفساد إلى الميل أزاء هذه الظاهرة في ضوء ما يرونه من المكاسب والمغانم التي تتحقق للمفسدين دون رقيب أو حسيب، مما يؤدي إلى انتشار القيم غير الأخلاقية والانحلال الخلقي ، وتقديم المنفعة الشخصية على شرعية الوسيلة،وهذه هي نقطة الخطر في الفساد وهي النقطة التي يصاب عندها الجهاز القيمي لمجتمع ما بالخلل نتيجة الفساد ويصيب

عندها أخلاقيات العمل وقيمه، مما يؤدي إلى شيوع حالة ذهنية لدى الأفراد تبرر الفساد وتجد له من الذرائع ما يبرر استمراره، ويساعد في نطاق مفعوله في الحياة اليومية.

أما أنصار التفسير الإداري فيرون أنّ أسباب الفساد الإداري تعزى إلى البيئة الإدارية ، فكلما اتسمت البيئة الإدارية بدرجة عالية من الوعي والثقافة كلما كانت أكثر حصانة أمام مظاهر الفساد الإداري، وبالعكس كلما اتسمت البيئة الإدارية بضعف الوعي الثقافي أو عدمه كلما أدي ذلك إلى بروز حالات فساد إداري متمثلة بضعف القيادات الإدارية وعدم نزاهتها وسوء اختيار العاملين وسوء توزيع السلطات والمسؤوليات وعدم وضوح التعليمات.

مما سبق يمكن القول أنّ أسباب ظاهرة الفساد الإداري تتعدد وتتباين وفقا لطبيعة الفرد والمنظمة والبيئة والمجتمع وبالتالي يختلف تأثيرها ويتباين في مجتمع لآخر :

وهناك من يصنف أسباب تفشي الفساد الاداري والمالي إلى:

١ـ أسباب تربوية وسلوكية عدم غرس القيم الأخلاقية الإسلامية في نفس الفرد منذ الصغر

٢ـ أسباب اقتصادية : عدم اكتفاء الموظف من مورده المادي لإشباع احتياجاته

٣ـ أسباب قانونية : عدم وضوح القوانين واللوائح المنظمة للعمل أو قصورها وغموضها الأمر الذي يؤدي بالموظف إلى تفسيرها بصورةتتعار ض مع المصلحة التي وضعت من أجلها.

وهناك من يقسم الأسباب إلى أسباب متعلقة بالجوانب الشخصية والمؤسسية والبيئة:

٤ ـ العوامل الشخصية : تشير الكثير من الدراسات بأنه هناك علاقة بين بعض خصائص الأفراد وممارساتهم الإدارية الفاسدة، ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي:

* العمر :إن حاجات الموظف الشاب كثيرة وموارده قليلة، ولكونه موظفا جديدا وحديث التعيين قد تكون سببا وراء ممارسات إدارية فاسدة.

- مدة الخدمة : فقد يكون كبار الموظفين ممن تكون مدة خدمتهم طويلة على معرفة تامة بأساليب إخفاء الممارسات الإدارية الفاسدة ويساعد هذا الأمر على ارتكابها، وقد يكون الموظف حديث الخدمة أكثر ميلا لممارسة حالات الفساد الإداري بسبب تأثره السريع بزملائه في العمل غير التزيهين.
- المستوى الدراسي: إن تأكيد علاقة ممارسات الفساد الإداري بالمستوى الدراسي والتحصيل العلمي ربما تختلف باختلاف المجتمعات، فالمجتمعات التي يسهل فيها الحصول على شهادات عليا بأسلوب غير علمي وغير مشروع وكذلك الحصول على الوظيفة بطريقة غير قانونية وعادلة يكون أفراد ها أكثر ميلا لممارسة الفساد الإداري.

٥ـ العوامل المؤسسية والتنظيمية : تتعدد الأسباب التنظيمية والمؤسسية التي تقف وراء الممارسات الإدارية الفاسدة ، فاغلب هذه الأبعاد المؤسسية والتنظيمية تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في السلوك الإداري أو التنظيمي بحيث تجعل منه سلوكا منحرفا أو منضبطا، ويمكن الإشارة إلى أهم هذه العوامل كما يلي:

*-ثقافة المنظمة : إن عدم وجود ثقافة تنظيمية قوية ومتماسكة وايجابية تؤدي إلى التزام عال والتحلي بأخلاقيات إدارية سامية، قد يكون سببا لممارسات فاسدة ، كغياب مدونات السلوك للموظفين

**-حجم المنظمة : غالبا ما يكون كبر الحجم خصوصا في الإدارات العمومية مرتبطا بوجود ترهل إداري وبطالة مقنعة وبيروقراطية عالية، وهذه كلها تؤدي بدورها إلى ممارسات غير قانونية وسلوكيات فساد إداري ومالي لا يمكن السيطرة عليها بسهولة.

*** ضعف النظام الرقابي : حيث يجعل من الممارسات الفاسدة روتينا ساريا يمر دون مساءلة أو حساب، فمنظمات الأعمال والإدارات العمومية مدعوة لإعادة النظر باستمرار في نظمها الرقابية وأساليب تقييم الأداء لديها.

****** طبيعة العمل المؤسسي : إن درجة وضوح العمل وأهداف المؤسسات وشفافية عملها وبساطة الإجراءات له اثر كبير في تقليل حالات الفساد الإداري.**

******* الهياكل التنظيمية: إن عدم وضوح الصلاحيات وعدم تناسب الهيكل التنظيمي مع طبيعة العمل وعدم وجود وصف وظيفي واضح بالإضافة إلى تعقيد الإجراءات (البيروقراطية) يزيد من احتمال ممارسة الفساد الإداري والمالي.**

******** البطالة المقنعة : إن وجود أعداد كبيرة من العاملين لا يمارسون أعمالا فعلية قد يكون سببا وراء تفنن هؤلاء الموظفين في تعقيد سير المعاملات لغرض الابتزاز والرشوة والوساطة وغيرها.**

********* عدم الاستقرار الوظيفي: إن شعور الموظف خاصة من أن منصبه هو فرصة يجب أن يستغلها لفترة محددة تجعل منه أكثر ميلا لممارسة حالات فساد إداري لغرض الإثراء وبناء النفوذ وتوطيد العلاقات مع الآخرين على حساب مصلحة المنظمة.**

*********العوامل البيئية : تعتبر من أهم العوامل التي تقف وراء حالات الفساد الإداري أو تساهم في تعزيزها بسبب كثرتها وتعقدها وتشابكها.وفيما يلي إشارة إلى هذه العوامل :**

-عوامل البيئة الاجتماعية:

منها انخفاض مستوى التعليم، التمسك بالأعراف والتقاليد والتي تجعل من الروابط الأسرية والانتماء للعائلة وسيلة لممارسة الضغوط على الموظف، زيادة عدد السكان.

وبشكل عام يمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلي:

١ -انتشار الفقر والجهل ، وسيادة القيم التقليدية والروابط القائمة على النسب والقرابة.

٢ -تدني رواتب العاملين وانخفاض المستوى المعيشي مما يشكل بيئة ملائمة لقيام بعض العاملين بالبحث عن مصادر مالية أخرى حتى لو كان من خلال الرشوة.

٣-غياب قواعد العمل والإجراءات المكتوبة المنظمة للعمل ومدونات السلوك للموظفين

٤-انحلال البناء القيمي وضعف الضوابط الاخلاقية لدى الأفراد عموما مما يؤدي الى تغليب المصلحة الفردية على المصلحة العامة.

٦-غياب المساءلة، وهو اما غياب قانوني أي ان المنظومة القانونية لا تتضمن تنظيما لأليات المساءلة، وقد تكون المساءلة منظمة قانونا ولها وجود في المنظومة القانونية ولكنها غير فاعلة ولا تؤدي دورها المرجو منها.

٧-غياب الشفافية النزاهة

٨-تداخل الاختصاصات التنظيمية للوحدات الإدارية وعدم وضوح الاختصاصات والمسؤوليات الوظيفية

سابعاً : اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد هي اتفاقية متعددة الأطراف تتفاوض بشأنها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. هذه هي أول صك مكافحة فساد دولي ملزم قانونا ، تضم الاتفاقية ٧١ مادة مقسمة إلى ٨ فصول على أن تقوم الدول الأطراف بتنفيذ عدة تدابير لمكافحة الفساد والتي قد تؤثر على القوانين والمؤسسات والممارسات.

تهدف هذه الإجراءات إلى منع الفساد وتجريم بعض التصرفات وتعزيز إنفاذ القانون والتعاون القضائي الدولي وتوفير آليات قانونية فعالة لاسترداد الموجودات والمساعدة التقنية وتبادل المعلومات وآليات لتنفيذ الاتفاقية بما في ذلك مؤتمر الدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

الاتفاقية هي الأحدث في سلسلة طويلة من التطورات التي اعترف بها الخبراء والسياسيين وذات التأثير البعيد المدى من الفساد والجريمة الاقتصادية التي تقوض قيمة الديمقراطية والتنمية المستدامة وسيادة القانون .الاتفاقية في الحاجة إلى وضع تدابير فعالة ضد الفساد على المستويين المحلي والدولي. العمل الدولي لمكافحة الفساد قد تقدم والبيانات التعريفية للاتفاقية ملزمة قانونا.

بينما في بداية إجراء المناقشة تركزت بشكل ضيق نسبيا على جرائم محددة أبرزها الرشوة وأصبح فهم الفساد أوسع وبالتالي فإن التدابير ضدها توسع. نهج مكافحة الفساد الشامل والطابع الإلزامي لكثير من أحكامه أعطى دليل على هذا التطور. الاتفاقية تتعامل مع أشكال الفساد التي لم يتم تغطيتها من قبل العديد من الصكوك الدولية السابقة مثل الاتجار بالنفوذ وا إساءة استعمال الوظيفة وأنواع مختلفة من الفساد في القطاع الخاص.

من التطورات الهامة المزيد من إدراج فصل خاص التعامل مع استعادة الأصول المسروقة ومصدر قلق كبير بالنسبة للبلدان التي تسعى أصول القادة السابقين وغيرهم من المسؤولين المتهمين أو تم الاثبات بأنهم انخرطوا في الفساد.

توجد اتفاقيات مكافحة فساد رئيسية أخرى مثل اتفاقية البلدان الأمريكية لمكافحة الفساد واتفاقية منظمة التعاون والتنمية لمكافحة الرشوة واتفاقية الاتحاد الأفريقي لمنع الفساد ومحاربته ولكنها تقتصر على إما مناطق معينة من العالم أو مظاهر معينة من الفساد.

وفقا للمادة ٦٣ من اتفاقية مكافحة الفساد فقد تم إقرار مؤتمر الدول الأطراف لاتفاقية مكافحة الفساد لتحسين القدرة والتعاون بين الدول الأطراف لتحقيق الأهداف المنصوص عليها في اتفاقية مكافحة الفساد وتعزيز تنفيذها واستعراضه.

في دوراته المختلفة إلى جانب الدعوة بانتظام الدول الأطراف والدول الموقعة على التكيف مع قوانينها وأنظمتها لجعلها مطابقة لأحكام اتفاقية مكافحة الفساد فقد اعتمد مكتب الأمانة القرارات وفوض لتنفيذها بما في ذلك من خلال تطوير المشاريع المساعدة التقنية.

أنشأ مكتب الأمانة عدد من الهيئات الفرعية لتعزيز تنفيذ جوانب محددة من اتفاقية مكافحة الفساد. فريق استعراض التنفيذ الذي يركز على آلية استعراض التنفيذ والمساعدة التقنية والفريق العامل المعني باسترداد الموجودات والفريق العامل المعني الوقاية منها وكذلك اجتماعات فريق الخبراء بشأن التعاون الدولي يجتمعون بانتظام في الفترة الفاصلة بين الدورتين.

عقدت الدورة الأولى من مكتب الأمانة من ١٠ إلى ١٤ ديسمبر ٢٠٠٦ في البحر الميت بالأردن وافقت الدول الأطر اف في قراره ١/١ أنه من الضروري إنشاء آلية مناسبة وفعالة للمساعدة في استعراض تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد.

تأسست مجموعة العمل الحكومية لبدء العمل على تصميم مثل هذه الآلية. تم ضبط مجموعتا عمل أخرى تصل إلى تعزيز تنسيق الأنشطة المتصلة بتقديم المساعدة الفنية واسترداد الموجودات على التوالي.

عقد مكتب الأمانة الاجتماع الثاني في بالي بإندونيسيا من ٢٨ يناير إلى ١ فبراير ٢٠٠٨. بالنسبة لآلية استعراض تنفيذ فقد قررت الدول الأطراف أن تأخذ في الاعتبار نهج جغرافي متوازن لتجنب أي عناصر عدائية أو جزائية لوضع مبادئ توجيهية واضحة لكل آلية جانبا وتشجيع الانضمام العالمي لمكافحة الفساد والتعاون البناء في التدابير الوقائية واسترداد الموجودات والتعاون الدولي وغيرها من المجالات.

اعتمد القرار التاريخي على استعراض تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد التي تحتوي على اختصاصات آلية استعراض تنفيذ نظرا لإنشائه وبالنظر إلى أن تحديد الاحتياجات وتقديم المساعدة التقنية لتسهيل التنفيذ الناجح والثابت من اتفاقية مكافحة الفساد هي في جوهر الآلية فقد قرروا إلغائه في دورته الثالثة للمرة الأولى واعتمد الفريق العامل المعني بالمساعدة التقنية واضعاف ولايتها في عمل فريق استعراض التنفيذ. فتح باب العضوية للفريق العامل الحكومي الدولي لمنع مواصلة استكشاف الممارسات الجيدة في هذا المجال.

يرافق الاجتماع العديد من الأحداث الجانبية مثل المنتدى العالمي الأخير لمكافحة الفساد وحماية النزاهة (بالتعاون مع الشركات) ومنتدى للشباب.

عقد الاجتماع الرابع في مدينة مراكش المغربية من ٢٤ إلى ٢٨ أكتوبر ٢٠١١. اعتبر المؤتمر التقدم المحرز الاعتراف بأهمية معالجة احتياجات المساعدة التقنية في آلية الاستعراض. أكد أيضا على الدعم لمجموعات العمل المعني باسترداد الموجودات والوقاية منها وأنشأ اجتماعات فريق الخبراء الحكومي الدولي المفتوح العضوية المعني بالتعاون الدولي لتقديم المشورة والمساعدة فيما يتعلق بتسليم المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة.

مجـــــالات الاتفاقيـــــــة

غطي الاتفاقية خمسة مجالات رئيسية هي: التدابير الوقائية والتجريم وا ٍنفاذ القانون والتعاون الدولي واسترداد الموجودات والمساعدة التقنية وتبادل المعلومات. ويشمل الأحكام الإلزامية وغير الإلزامية على حد سواء.

أحكام عامة (الفصل الأول، المواد ١-٤)

تشمل المواد البيان الافتتاحي والذي يغطي كلا من تعزيز النزاهة والمساءلة داخل كل بلد ودعم التعاون الدولي والمساعدة التقنية بين الدول الأطراف. كما تشمل تعاريف للمصطلحات الهامة المستخدمة في الاتفاقية. بعض هذه هي مماثلة لتلك المستخدمة في الاتفاقيات الأخرى وعلى وجه الخصوص اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية ولكن تعريفات «موظف عمومي» و«موظف عمومي أجنبي» و«موظف مؤسسة دولية عمومية» هي جديدة ومهمة لتحديد نطاق تطبيق اتفاقية مكافحة الفساد في هذه المجالات. الاتفاقية لا تنص على تعريف للفساد.

وفقا للمادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة والمادة ٤ من اتفاقية مكافحة الفساد تنص على حماية السيادة الوطنية للدول الأطراف.

التدابير الوقائية (الفصل الثاني، المواد ٥-١٤)

تعترف اتفاقية مكافحة الفساد على أهمية الوقاية من الفساد عن طريق الذهاب إلى أبعد من التدابير من الاتفاقيات السابقة في كل من النطاق والتفصيل، توجه تدابير وقائية في كل من القطاعين العام والخاص. يتضمن الفصل الثاني سياسات وقائية مثل إنشاء هيئات لمكافحة الفساد وتعزيز الشفافية في تمويل الحملات الانتخابية والأحزاب السياسية.

ينبغي لهيئات مكافحة الفساد تنفيذ سياسات مكافحة الفساد ونشر المعرفة ويجب أن تكون مستقلة والموارد الكافية والمدربة بشكل صحيح والموظفين. تلتزم الدول الأطراف أيضا لضمان أن خدماتها العامة تخضع للضمانات التي تعزز الكفاءة والشفافية والتوظيف على أساس الجدارة. يجب على موظفي القطاع العام أن يكونوا ملزمين بمدونات السلوك ومتطلبات الإفصاح المالية وغيرها والتدابير التأديبية المناسبة. كما يجب تعزيز الشفافية والمساءلة في إدارة المالية العامة ويتم وضع شروط محددة للوقاية من الفساد في المجالات الحيوية وخاصة في القطاع العام مثل السلطة القضائية والمشتريات العامة.

يتطلب منع الفساد أيضا محاولة من جميع أفراد المجتمع ككل. لهذه الأسباب يدعو مكتب الأمانة البلدان على العمل بنشاط على تعزيز مشاركة المجتمع المدني ورفع الوعي العام بالفساد وما يمكن القيام به حيال ذلك. تطبيق المتطلبات المقدمة للقطاع العام أيضا في القطاع الخاص وهو أيضا من المتوقع أن تعتمد إجراءات وقواعد السلوك شفافة.

التجريم وا نفاذ القانون (المواد من الفصل الثالث، ١٥-٤٤)

الفصل الثالث يدعو الدول الأطراف إلى إنشاء أو الحفاظ على سلسلة من جرائم جنائية محددة بما في ذلك ليس فقط جرائم عريقة مثل الرشوة والاختلاس ولكن كما يجري لا يجرم من قبل في العديد من الدول مثل المتاجرة بالنفوذ وغيرها من انتهاكات المهام الرسمية.

مجموعة واسعة من طرق الفساد التي تجلى في مختلف البلدان ولبعض الجرائم تحديات تشريعية ودستورية خطيرة وهي حقيقة تنعكس في قرار اللجنة المخصصة لجعل بعض

الأحكام إما اختياري يجب النظر في اعتماد أو تخضع للمتطلبات الأساسية الدستورية أو داخلية أخرى تخضع لدستورها والمبادئ الأساسية لنظامها القانوني.

الأفعال المحددة التي يجب على الدول الأطراف تجريمها تشمل الرشوة النشطة (للتقديم أو إعطاء مزية غير مستحقة) من الموظفين العموميين الوطنيين الدولي أو الأجنبي وارتشاء الموظف العمومي الوطني واختلاس الأموال العامة.

تشمل الجرائم إلزامية أخرى عرقلة سير العدالة والإخفاء وتحويل أو نقل العائدات الإجرامية (غسل الأموال). العقوبات تمتد إلى أولئك الذين يشاركون فيها ويمكن أن تمتد إلى أولئك الذين يحاولون ارتكاب جرائم الفساد. اتفاقية مكافحة الفساد تتجاوز الاتفاقيات السابقة من هذا النو ع التي تطلب من الدول الأطراف تجريم الأشكال الأساسية فقط من الفساد.

تشجع الدول الأطراف ولكن ليس بالشكل المطلوب تجريم جملة أمور منها ارتشاء الموظفين العموميين الأجانب والدوليين والمتاجرة بالنفوذ وا ٍساءة استعمال الوظيفة والإثراء غير المشروع والرشوة والاختلاس في القطاع الخاص وا ٍخفاء الأصول غير المشروعة.

علاوة على ذلك يتعين على الدول الأطراف تبسيط القواعد المتعلقة بأدلة السلوك الفاسد وضمان أن العقبات التي قد تنشأ عن تطبيق قوانين السرية المصرفية يجب التغلب عليها ، هذا أمر مهم خاصة وأن أعمال الفساد كثيرا ما تكون صعبة للغاية للإثبات أمام المحكمة.

توجد أهمية خاصة وهي أيضا إدخال مسؤولية الأشخاص الاعتباريين. في مجال إنفاذ القانون ومكافحة الفساد تدعو إلى تعاون أفضل بين الهيئات الوطنية والدولية والمجتمع المدني. هناك حكم لحماية الشهود والضحايا والشهود الخبراء والمبلغين عن المخالفات لضمان إنفاذ القانون بشكل فعال.

التعاون الدولي (الفصل الرابع، المواد ٤٣-٤٩)

بموجب الفصل الرابع من اتفاقية مكافحة الفساد يجب على الدول الأطراف أن تساعد بعضها بعضا في مكافحة الفساد بما في ذلك الوقاية والتحقيق وملاحقة الجناة. التعاون يأخذ شكل تسليم المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة ونقل أحكام الأشخاص والإجراءات الجنائية والتعاون في مجال إنفاذ القانون. مما يشجع أيضا التعاون في المسائل المدنية والإدارية.

استنادا إلى الفصل الرابع فإن مكتب الأمانة نفسه يمكن أن يستخدم كأساس لتسليم المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة وا إنفاذ القانون فيما يتعلق بالجرائم المتصلة بالفساد. «التجريم المزدوج» الذي هو شرط أن الجريمة ذات الصلة يجب أن يجرم بها في كل من الدولة الطالبة والمطلوبة ويعتبر الوفاء بصرف النظر عما إذا تم استخدام نفس المصطلحات أو فئة من جريمة في كل من الولايات القضائية. في حالة طلب الحصول على المساعدة التي تنطوي على تدابير غير قسرية يتعين على الدول الأطراف أن تقدم المساعدة حتى عند التجريم الغائب إلا على المفاهيم الأساسية لنظمها القانونية.

يحتوي الفصل الرابع أيضا على أحكام أخرى مبتكرة تهدف إلى تسهيل التعاون الدولي. على سبيل المثال فإن الدول الأطراف التي تستخدم اتفاقية مكافحة الفساد كأساس لتسليم المجرمين أن لا تنظر في الجرائم المتعلقة بالفساد بكونها سياسية. يمكن أيضا تقديم المساعدة فيما يتعلق بالجرائم التي يتهم فيها الأشخاص الاعتباريين. السرية المصرفية لا يمكن ذكرها كسبب لرفض طلب الحصول على المساعدة.

من أجل ضمان التعاون السريع والفعال يتعين على كل دولة طرف أن تعين سلطة مركزية مسؤولة عن تلقي الطلبات. بشكل عام يوفر الفصل الرابع منصة واسعة ومرنة للتعاون الدولي. ومع ذلك فإن أحكامها لا تستنفد كل قضايا التعاون الدولية التي تغطيها اتفاقية

مكافحة الفساد وبالتالي أغراض اتفاقية مكافحة الفساد وأحكام الفصول الأخرى تحتاج أيضا إلى أن تؤخذ بعين الاعتبار.

استرداد الموجودات (الفصل الخامس، المواد ٥١-٥٩)

يعتبر الاتفاق على استرداد الموجودات انفراجه كبيرة ويدعي كثير من المراقبين أنه أحد الأسباب التي جعلت العديد من الدول النامية توقع على الاتفاقية. استرداد الموجودات هو في الواقع مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لكثير من البلدان النامية حيث الفساد على مستوى عال وقد نهبت الثروة الوطنية.

التوصل إلى اتفاق بشأن هذا الفصل تشارك مفاوضات مكثفة والمصالح المشروعة للبلدان التي ترغب في استرداد الأصول غير المشروعة كان لا بد من التوفيق بين الضمانات القانونية والإجرائية للبلدان التي سوف تلتمس المساعدة. عموما في سياق المفاوضات فإن الدول التي تسعى لاسترداد الأصول سعت إلى إنشاء الافتراضات التي من شأنها أن تجعلها واضحة لملكيتهم للموجودات وا ٍعطاء الأولوية للعودة عبر وسائل أخرى للتخلص منها. البلدان لديها مخاوف بشأن اللغة التي قد تخطر بها حقوق الإنسان الأساسية والحماية الإجرائية المرتبطة بالمسؤولية الجنائية وتجميد وحجز ومطدرة وا ٍعادة هذه الأصول.

الفصل الخامس:

الفصل الخامس من اتفاقية مكافحة الفساد يؤسس استرداد الموجودات باعتباره «المبدأ الأساسي» للاتفاقية. الأحكام المتعلقة باسترداد الموجودات تكمن الإطار في القانون المدني والجنائي على حد سواء لتعقب وتجميد ومصادرة وا ٍعادة الأموال التي تم الحصول عليها من خلال الأنشطة الفاسدة. إن الدولة الطالبة في معظم الحالات تتلقى الأموال المستردة طالما أنه يمكن إثبات الملكية. في بعض الحالات يتم إرجاع الأموال مباشرة للضحايا الفردية.

إذا لم يكن هناك ترتيب آخر في المكان يجوز للدول الأطر اف استخدام الاتفاقية نفسها كأساس قانوني. المادة ٥٤

(أ) من اتفاقية مكافحة الفساد تنص على أن: "كل دولة طرف (يجب)... أن تتخذ من التدابير التي قد تكون ضرورية للسماح لسلطاتها المختصة لإنفاذ أمر المصادرة الصادر عن محكمة دولة أخرى

والمادة ٥٤

(أ) من اتفاقية مكافحة الفساد تنص أيضا على التجميد المؤقت أو الاستيلاء على الممتلكات حيث توجد أسباب كافية لاتخاذ مثل هذه الإجراءات في وقت مبكر من طلب رسمي.

مع الاعتراف بأن استعادة الأصول مكلفة للغاية ومعقدة وعملية فاشلة في كثير من الأحيان فقد يتضمن هذا الفصل أيضا عناصر تهدف إلى منع عمليات النقل غير المشروع وتوليد السجلات التي يمكن استخدامها حيث يكون النقل غير المشروع في نهاية المطاف مجمد ومضبوط ومصادر (المادة ٥٢). يتم تضمين تحديد الخبراء الذين يمكن أن يساعدوا البلدان النامية في هذه العملية أيضا كشكل من أشكال المساعدة التقنية (المادة ٦٠.

المساعدة التقنية وتبادل المعلومات (المواد من الفصل السادس، ٦٠-٦٢

يكرس الفصل السادس من اتفاقية مكافحة الفساد إلى المساعدة التقنية وهذا يعني الدعم المقدم للبلدان النامية والتي تمر بمرحلة انتقالية في تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد. تغطي أحكام التدريب والموارد المادية والبشرية والبحوث وتبادل المعلومات. يدعو مكتب الأمانة أيضا للتعاون من خلال المنظمات الدولية والإقليمية (وكثير منها قد أنشأت بالفعل برامج مكافحة الفساد) الجهود البحثية ومساهمة الموارد المالية بشكل مباشر إلى البلدان النامية والبلدان ذات الاقتصادات التي تمر بمرحلة انتقالية وا إلى المكتب.

آليات التنفيذ (الفصل السابع والمواد ٦٣-٦٤)

الفصل السابع يحتوي على صفقات التنفيذ الدولي من خلال مكتب الأمانة والأمانة العامة للأمم المتحدة.

أحكام ختامية (الفصل الثامن، المواد ٦٥-٧١)

الأحكام النهائية هي مماثلة لتلك التي وجدت في معاهدات الأمم المتحدة الأخرى. الأحكام الرئيسية التي تضمن متطلبات اتفاقية مكافحة الفساد هي أن تفسر على أنها الحد الأدنى من المعايير التي على الدول الأطراف الأحرار في تطبيق تدابير «أكثر صرامة أو شدة» من تلك المنصوص عليها في أحكام محددة.

وفقا للمادة ٦٣ (٧) من اتفاقية مكافحة الفساد فإن «مؤتمر يضع إذا رأى ضرورة لذلك أي آلية أو هيئة مناسبة للمساعدة في تنفيذ الاتفاقية على نحو فعال».

في دورته الأولى أنشأ مكتب الأمانة لفتح فريق الخبراء الحكومي الدولي لتقديم توصيات إلى المؤتمر بشأن الآلية المناسبة. تم تقديم «برنامج الاستعراض التجريبي» فرصة كافية لاختبار الأساليب الممكنة لاستعراض تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد مع الهدف العام لتقييم كفاءة وفعالية آلية اختبار وتوفير المعلومات عن الدروس المستفادة والخبرات المكتسبة وبالتالي تمكين اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن إنشاء آلية مناسبة لاستعراض تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد. في اجتماعه الثالث الذي عقد في الدوحة في نوفمبر ٢٠٠٩ اعتمد القرار ١/٣ بشأن استعراض تنفيذ الاتفاقية التي تحتوي على اختصاصات آلية استعراض تنفيذ.

أنشأت آلية استعراض تهدف إلى مساعدة البلدان على تحقيق أهداف اتفاقية مكافحة الفساد من خلال عملية مراجعة النظراء.

يهدف لمواصلة تعزيز إمكانات اتفاقية مكافحة الفساد من خلال توفير وسائل للبلدان لتقييم مستوى تنفيذها من خلال استخدام قائمة التقييم الذاتي المرجعية الشاملة وتحديد الفجوات المحتملة ووضع خطط عمل لتعزيز تنفيذ اتفاقية مكافحة الفساد على المستوى المحلي.

يقدم المكتب كأمانة لآلية الاستعراض لشروط المرجعية تحدد أن كل مرحلة مراجعة تتكون من دورتي مراجعة من خمس سنوات. تغطي دورة الاستعراض الأولى الفصلين الثالث

(التجريم وا ٍنفاذ القانون) والرابع (التعاون الدولي) من اتفاقية مكافحة الفساد. دورة الاستعراض الثانية التي ستبدأ في عام ٢٠١٥ تغطي الفصلين الثاني (التدابير الوقائية) والخامس (استرداد الموجودات). يجب على جميع الدول الأطراف الخضوع للمراجعة في كل دورة. يتم اختيار الدول الأطراف للمراجعة عن طريق القرعة.

تتم مراجعة كل دولة طرف من قبل اثنين من الدول الأطراف الأخرى مع المشاركة النشطة من جانب الدولة الطرف قيد الاستعراض. واحدة على الأقل من الدول غير مراجعة من المجموعة الإقليمية للدولة الطرف قيد الاستعراض.

يستند مراجعة المكتب الأولي على ردود كل دولة على قائمة التقييم الذاتي المرجعية الشاملة القائمة على تكنولوجيا المعلومات. تشجع الدول الأطراف قيد الاستعراض لإجراء مشاورات واسعة بما في ذلك جميع أصحاب المصلحة ذوي الصلة عند إعداد ردودهم. حوار نشط بين البلد قيد الاستعراض والمراجعين هو عنصر أساسي في هذه العملية.

في ٤ أكتوبر ٢٠١٢ شاركت ١٥٧ دولة في آلية استعراض إما دولة قيد الاستعراض أو كدول مراجعة.

الاتفاقية التي أنشئت في عام ٢٠٠٦ هي عبارة عن شبكة من نحو ٣١٠ منظمة للمجتمع المدني في أكثر من ١٠٠ دولة ملتزمة بتعزيز التصديق والتنفيذ والرصد من اتفاقية مكافحة الفساد. تهدف إلى حشد دعم المجتمع المدني بشكل واسع لمكافحة الفساد وتيسير عمل المجتمع المدني القوي على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لدعم مكافحة الفساد. الاتفاقية مفتوحة لجميع المنظمات والأفراد الملتزمين بهذه الأهداف. اتساع الاتفاقية يعني أن إطارها هو ذات الصلة لمجموعة واسعة من منظمات المجتمع المدني بما في ذلك الجماعات العاملة في مجالات حقوق الإنسان وحقوق العمال والحكم والتنمية الاقتصادية والبيئة والمساءلة في القطاع الخاص.

الشفافيـــــــة الدوليـــــــــة:

الشفافية الدولية (Transparency International) ويُرمز لها اختصاراً (TI) هي منظمة دولية غير حكومية معنية بالفساد.

هذا يتضمن الفساد السياسي وغيره من أنواع الفساد. وتشتهر عالمياً بتقريرها السنوي مؤشر الفساد، وهو قائمة مقارنة للدول من حيث انتشار الفساد حول العالم. مقر المنظمة الرئيسي يقع في برلين، ألمانيا.

الشفافية الدولية هي مجموعة من ١٠٠ فرع محلي، مع سكرتارية دولية في برلين، بألمانيا. تاسست في عام ١٩٩٣ بألمانيا كمؤسسة غير ربحية، وهي الآن منظمة عالمية غير حكومية، وتدعو لأن تكون منظمة ذات نظام هيكلي ديمقراطي متكامل. وتقول المنظمة عن نفسها:

الشفافية الدولية هي منظمة مجتمع مدني عالمية تقود الحرب ضد الفساد. تجمع الناس معاً في تجمع عالمي قوي للعمل على إنهاء الأثر المدمر للفساد على الرجال و النساء والاطفال حول العالم. مهمة الشفافية الدولية هي خلق تغيير نحو عالم من دون فساد

ترفض المنظمة فكرة تفوق الشمال فيما يتعلق بالفساد وتلتزم بكشف الفساد حول العالم.

منذ العام ١٩٩٥ بدأت بإصدار مؤشر فساد سنوي) إنجليزي Corruption Perceptions : Index CPI) وهي تنشر أيضاً تقرير فساد عالمي، هو بارومیتر الفساد العالمي ، ودليل دافعي الرشوة. لكن فرع الولايات المتحدة لم يُعلق ابداً على اية قضية فساد حصلت في الولايات المتحدة في كل إصداراته، وقام الفرع باخذ المال من شركة بوينغ، التي كان مديرها التنفيذي قد سُجن بسبب قضايا فساد.

المنظمة لا تتولى التحقيق على قضايا فساد معينة أو لأفراد، بل تطور وسائل مكافحة الفساد وتعمل مع منظمات المجتمع المدني والشركات والحكومات لتنفيذها.

هدف المنظمة هو أن تكون محايدة وتقوم بعمل ائتلافات لمحاربة الفساد.

نجاح المنظمة هو وضع موضوع الفساد على قائمة أجندة العالم. مؤسسات دولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تنظر للفساد كعقبة رئيسية للتنمية، في حين انه لما قبل العام ١٩٩٠ هذا الموضوع لم يكن يؤخذ به بشكل كاف. المنظمة لعبت أيضاً دورا أساسيا في تقديم ميثاق الأمم المتحدة ضد الفساد واتفاقية منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD) ضد الرشوة .وقد قامت لجنة من المحققين في التحقيق في فضيحة رشوة هذه المؤسسة.

مؤشرات الفســـــــاد

مؤشر مدركات الفساد– المسمى (CPI) اختصاراً –بجانب مؤشر البنك الدولي للفساد هي أكثر مقاييس الفساد المستخدمة في مختلف البلدان حول العالم. يعتمد على دراسات عديدة، ويُعرف هذا المؤشر بدقتة. ومن اجل عمل الدليل، تقوم الشفافية الدولية بمسوحات تسأل رجال الأعمال والمحللين، من داخل وخارج البلد التي يقومون بمسحها، ملاحظاتهم حول مدى فساد البلد. الاعتماد على عدد قضايا الفساد الحقيقية لن يكون يُجدى بسبب اختلاف ومدى تطبيق القوانين فهذه تختلف بشكل كبير من بلد لأخر.

المؤشر ينتقد لسببين رئيسيين هما:

الأول:هو الخطورة من التنبؤ بالتحقيق الذاتي. حيث ان بعض البلدان ربما تتأثر عن طريق استقراء ماضي الفساد وهذا لا يعكس التغيير GOLDEN RAITO .

الثاني : استخدام قيم المؤشر في الإحصائيات المتتالية زمنياً صعبة بسبب طريق حساب قيم هذا المؤشر.

مصادر ومراجع الفصل الثاني:

١-عمار طارق عبد العزيز : الفساد الإداري وطرق معالجته ، من ص٥إلى ص٧

٢- علوان سعيد وسهاد عادل أحمد : الفساد الإداري والمالي ، صفحات متفرقة.

٣- أمال حفناوي : العوامل المؤدية للفساد الإداري والمالي ومؤشرات قياسه عالميا، صفحة ١١١-١١٤

٤- مهدي عطية موحي : جاسم محمد حسين : استراتيجيات مكافحة الفساد الإداري والمالي ودورها في تعزيز الاداء المنظمي.

ثانياً: مواقع الإنترنت:

https://mawdoo3.com/

https://annabaa.org/nbahome/nba80/010.htm

اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد - ويكيبيديا(wikipedia.org)

https://ar.wikipedia.org/wiki

الفصل الثالث

العولمـــة وأثرها على العقيـدة

من منظور فلسفـــــي

ويحتـــوي على العناصر التاليـــــــة:

تمهيـــد

أولا : تعريف العولـــــــــــة

ثانيا: نشـــأة العولـــــــــة

ثالثا: مظاهـــــر العولـــــة

رابعا : العولـــة والعقيـــــدة

خامسا : المسلمـون والعولـــــة

سادسا : عالميـــــة الإسلام والعولـــــة

سابعا: فرص ومخاطـــر العولـــــة

ثامنا: كيف نواجـــــه العولـــة؟

خاتمـــــــــة

العولمة وأثرها على العقيدة . . . من منظور فلسفي

مؤتمر الفلسفة الإسلامية الدولي التاسع

في الفترة من ٢٠ : ٢١ أبريل ٢٠٠٤م

كليـــة دار العـــلوم ــ جامعة القاهرة

بعنـــــــــــــــوان

مناهج العلوم الإسلامية بين التقليد والتجديد

د . إبراهيـم محمد رشاد إبراهيـم

أستاذ الفلسفة الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة جنوب الوادي

٢٠٠٤م

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[سورة الحجرات : آية ١٣]

تمهيـــــــــد

إن كلمة العولمة كظاهرة ونظرية هي الأكثر تداولا واستخداما بين المتخصصين وغيرهم في قضايا الفكر والثقافة ، وقد شغلت العولمة الناس كثيراً في الفترة الأخيرة ، فمنذ بداية التسعينات من القرن الماضي والحديث يجري على نطاق واسع في كل أنحاء العالم وعلى كافة المستويات عن العولمة ، وبرزت تساؤلات كثيرة عن طبيعة العولمة وعن حقائقها وعن فرصها ومخاطرها وعن كيفية التعامل مع إفرازاتها؟ حتى أصبح من الواضح أن معظم التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية التي يشهدها العالم إما سبباً من أسباب العولمة وا ٍما نتيجةً من نتائجها .

فالعولمة مليئة بالفرص والمخاطر ففرص العولمة كثيرة ومتنوعة وذلك لتحقيق غايات إنسانية فهي تحمل فرصاً معرفية هائلة مصاحبة للثورة العلمية والتي وضعت البشرية أمام آفاق معرفية لانهائية ، كما أنها تتضمن فرصاً استثمارية ضخمة وواضحة ومرتبطة ببنية الاقتصاد العالمي واتجاهاته نحو تقليل القيود على حركة المال والسلع والخدمات .

ولكن بجانب هذه الفرص فهي تحمل في طياتها مخاطر عديدة ، وتتفاوت مخاطرها بين السياسة والاقتصاد والثقافة ، فالمخاطر السياسية ترتبط بمحاولة الولايات المتحدة أمركة العالم والاستفراد بالشأن العالميوا ٍدارته بما يتناسب مع مصالحها وغايتها كما أن العولمة السياسية قد ارتبطت ببروز مجموعة من القضايا والمشكلات العالمية الجديدة التي تتطلب استجابات دولية كقضايا المخدرات والإرهاب والتطرف والتي تتطلب تشريعات وسياسات عالمية ، أما مخاطرها الاقتصادية فإنها تتضمن تراكما شديد للثروات مما يتسبب في زيادة الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، أما مخاطرها الثقافية فتتضمن تهميش الثقافات وتهديد الخصوصيات .

إذن فمن المهم فهم العولمة فهما متوازنا بكل ما لها وما عليها وقبولها أو رفضها من موقف المعرفة والإدراك لا من موقف الجهل فنحن لسنا مع العولمة أو ضدها ، ولكننا مع النظرة النقدية الواعية للعولمة ولغيرها من التيارات الوافدة ، فهي واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض ، ونحاول في هذا البحث الاقتراب من العولمة وفهمها فهما صحيحا وذلك من خلال طرح مجموعة من التساؤلات حول ماهيتها ومظاهرها المختلفة؟ وبتحديد أكثر نحاول الإجابة

عن السؤال ما هي العولمة ؟ وكيف يمكن تعريفها؟ وماهي مظاهرها المختلفة ؟ ومتى برزت العولمة وهل هي قديمة أم جديدة؟ وما هي التأثيرات العقدية والفكرية للعولمة؟ وما هي إيجابياتها وسلبياتها ؟

ولا شك أن الأديان والأيديولوجيات هي من أهم مظاهر العولمة الثقافية ولكن العولمة الثقافية التي ازداد الحديث عنها تعني أكثر من مجرد قيام دين من الأديان بالدعوة إلى توحيد العالم ، وهي الدعوة التي كانت وستظل قائمة بدوام الأديان السماوية

فالعولمة الثقافية هي ظاهرة جديدة تستمد خصوصيتها من عدة تطورات فكرية وقيمية وسلوكية ، ويأتي في مقدمة هذه التطورات انفتاح الثقافات العالمية المختلفة وتأثرها ببعضها البعض ، بل إن العولمة الثقافية تقوم بنقل الثقافات والأفكار وحتى الأديان إلى المستوي العالمي ، ولاشك أن هذا الانتقال سوف يسمح بظهور مفاهيم جديدة وقيم وعادات وأنماط من السلوك مختلفة تماماً عن العقيدة الدينية الإسلامية .

والعولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات ، ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الأكثر رواجاً فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حالياً لترابط المناطق الثقافية بإمكانها أن تقسم العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وتستعد لمواجهة بعضها البعض .

وهنا تكون لحظة العولمة مليئة بكل الاحتمالات المقلقة فالعولمة لدي المسلمين هي مشروع غربي للهيمنة ، ومن هذا المنظور يتم تحليل وفهم العولمة ، ومن ثم التعامل معها ، وبالتالي فإن النظرة للعولمة هي امتداد للبحث عن كيفية التعامل مع الغرب من خلال تأكيد الهوية الإسلامية ، فالفكر الإسلامي الحديث والمعاصر كله حوار وصراع مع الغرب ، وهذا ما حدد الإطار العام لأسئلة الفكر العربي الإسلامي ، إذ دارت الأسئلة منذ رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وغيرهم من مفكرينا عما يجب عليهم وعما يمكنهم أن يأخذوه عن الغرب لإحياء مجتمعاتهم ؟

وقد حاول الفكر الإسلامي الحديث إثبات قضيتين أساسيتين هما شمولية الإسلام وا ٍنسانيته مقابل التأكيـــــــد على أزمة الحضارة الغربية بسبب الإفراط في المادية والبعد عن

الأخلاق والقيم ، حتى يصلوا إلى القول بأن في الإسلام تعاليم وعقائد تشكل مذهبا إسلامياً في العولمة يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخري ونقومها في ضوئه ، فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة ، أو هو رسالة عالمية لكل الأجناس والأمم . وفي هذا يقول تعالي : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء :١٠٧)

وباعتبار كل ما تقدم تتضح أهمية دراسة العولمة وأثرها على العقيدة الدينية .

أولا : تعريف العـــولمـــة :

يعتبر مصطلح العولمة من أكثر المصطلحات التى لاقت ذيوعا وانتشارا في السنوات الأخيرة ، حتى أصبحت في الوقت الراهن الإطار المرجعي لفهم مظاهر التغير واتجاهاته في العالم المعاصر لكل الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، ومع شيوع المصطلح وانتشاره تعددت الرؤى والتصورات والتقييمات بشأنه حتى أصبح وضع تعريف للعولمة أمرا شائكا وتوجد صعوبات كبري في الاتفاق علي مثل هذا التعريف ، أو القبول بتعريف واحد ومحدد لهذه الظاهرة التاريخية التي مازالت في حالة سيولة ، لأنه بالرغم من هذا الكم الهائل من الكتابات والمقالات والندوات والمؤتمرات التي تتناول هذا المفهوم في الخطاب الثقافي المعاصر ، إلا أنه من الصعب تحديد كل جوانب العولمة كعملية لها أبعاد وجوانب متعددة ومتشابكة ، وفي الصفحات التالية نحاول أن نعرف هذا المصطلح لغة واصطلاحا.

(أ) العولمة ... لغـــــــــــة

العولمة كاسم فعل مصطلح غربي ، عرب به الكلمة الأنجلو سكسونية ***Globalization*** وهي مشتقة من **Globe** والتي تعرف في القاموس علي أنها كرة أو الكرة الأرضية ، أو أنها مشتقة من الكلمة الفرنكفونية ***Mondialisation*** وهي مشتقة من كلمة ***Monde*** بمعني العلم .[١] وبهذا المعني تكون العولمة هي إكساب الشئ طابع العالمية ، أو جعل نطاق الشئ أو تطبيقه عالميا.

---

(١) منير البعلبكى : المورد (قاموس انجليزى عربي) دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧م

وا ن كان هناك من يرفض كلمة عولمة ، ويفضل استخدام كلمات أخرى مثل "كوكبة" أو "كونية" وذلك لأن "فعل كوكب بمعني جمع أحجار ووضع بعضها مع بعضها الآخر في غير شكل محدد ، وهو يقابل "كوم" في تجميع التراب ، مثل فعل ثقف إذ نقل من صقل السيف إلي صقل العقل وأصبح يعني الثقافة [٢] ومهما كانت كلمة الكوكبة أكثر دقة من كلمة العولمة فيما يري الرأي السابق ، فإن مصطلح العولمة قد اكتسب قابلية أكبر من خلال شيوعها في الاستخدام من قبل المفكرين والباحثين ، فالعولمة بالمفهوم المتداول الآن وبعد سقوط نظام القُطبين واندثار العالم الثالث لم تعد منسوبة إلي كلمة ***Globe*** أى كوكب الأرض ، وتعرب بكلمة كوكبة ***Globalization*** وتصبح العولمة كعملية هي ترجمة لكلمة ***Globality*** وهي العملية التي تملك آليات التطبيق ، أي تحويل العالم إلي شكل موحد يلغي الحدود بين الدول والأمم[٣] لذا فإننا سوف نستخدم كلمة العولمة في البحث .

(ب) العولـــــــة ... اصطلاحـــــا

من الواضح أنه لا يوجد ثمة تعريف واضح يحدد محتوي العولمة بدقة يتفق عليه الكتاب والمفكرين ، فكل ينظر إلي هذا المصطلح من زاوية خاصة أو منظور مختلف وفي ضوء ظروف وأوضاع معينة بل وحتى انطلاقا من انحيازات أيديولوجية ومذهبية خاصة[٤]

بالإضافة إلي أنه لا توجد عولمة واحدة ، بل هناك عولمات عدة تتفاوت في معانيها وتجلياتها ، لذلك أصبح من الضروري التمييز بين العولمة الاقتصادية والعولمة السياسية والعولمة الثقافية .

---

(٢) إسماعيل صبري عبد الله : الكوكبة : الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية ، المستقبل العربي ، عدد٢٢٢ ، أغسطس ١٩٩٧م ، ص٥

(٣) أحمد مجدى حجازي : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد ٢٨ عدد "٢" ديسمبر ١٩٩٩م ، ص ١٢٨

(٤) السيد يسين : في مفهوم العولمة ، المستقبل العربي ، عدد ٢٢٨ ، ٢ / ١٩٩٨م ، ص٦

وربما كان أقدم وأهم تعريف للعولمة هو تعريف "رونالد روبرتسون" الذي يعرفها بمعناها الواسع علي أنها : "إتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد بهذا الانكماش"(٥)

وأهم ما يميز تعريف روبرتسون هو تركيزه الشديد علي فكرة انكماش العالم والتي تتضمن أموراً كثيرة منها تقارب المسافات والثقافات ، وترابط المجتمعات والدول حيث لم يعد بالإمكان الانعزال ، وأهم ما يميز تعريف روبرتسون أيضاً هو وعي وا ٍحساس الأفراد في كل مكان بأن العالم ينكمش ويقترب من بعضه البعض .

أما مالكولم وترز . صاحب كتاب العولمة . فيعرفها بأنها "كل المستجدات والتطورات التي تسعي بقصد أو من دون قصد إلي دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد"(٦) وهذا التعريف يوضح أن الوقائع والتطورات والمستجدات المادية المحسوسة مستقلة عن وعي الأفراد ، ورغم عدم تجانس هذه المستجدات إلا أن محصلتها النهائية هي خلق المجتمع العالمي الواحد .

أما الباحث الاجتماعي أنتونى جيدنز فيرى أن العولمة تعبر عن "مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة ، تنكشف فيها العلاقات الاجتماعية علي الصعيد العالمي ، حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج ، ويتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وا ٍنسانية"(٧)

وهذا التعريف يوضح أبعاد وجوانب العولمة المختلفة لذا فهي تعبر عن التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود

---

(٥) رونالد روبرتسون : العولمة النظرية الاجتماعية والثقافية والكونية ، ترجمة أحمد محمود ، نورا أمين، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص٢١١

(٦) Malcolm water : Globalization, london,P.18

(٧) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد ٢٨ عـدد ٢ ديسـمبر ، ١٩٩٩م ، ص٥٣

السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلي وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلي أجزاء حكومية .

وعلي الرغم من تلك الاختلافات فإن العولمة اتخذت أبعادا متعددة جديدة واكتسبت مضامين حديثة وهي تعبير بارز في الفكر الاقتصادي والسياسي الغربي كمرحلة من مر احل التطور في العلاقات الدولية فهي : "تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حيث تترابط الأحداث المحلية المتباعدة بطريقة وثيقة كما لو كانت تقع فى مجتمع واحد"(٨) وهذا يقلل من أهمية البعد الجغرافى ويقلل تأثيره فى مجال إنشاء واستمرار العلاقات السياسية والاقتصادية عبر الحدود، وهذا هو جوهر عملية العولمة، حيث يتمثل فى:" سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكونى"(٩)

ولقد رصد السيد يسين فئات تندرج فى إطار محاولات تعريف العولمة هى: "العولمة باعتبارها حقبة تاريخية والعولمة باعتبارها تجليات لظواهر اقتصادية ، والعولمة باعتبارها انتصارا وهيمنة للقيم الأمريكية ، والعولمة باعتبارها ثورة اجتماعية وتكنولوجية(١٠)

وينظر التعريف الأول إلى العولمة من منظور تاريخى، حيث يعتبرها فترة زمنية أكثر منها اجتماعية ، فالزمن هو العنصر الأساسى فى هذا التعريف الذي يهمل الأسباب التي أدت إلي نشأة العولمة أما التعريف الثانى فينحو إلى التركيز على وظيفة الدولة، حيث ينظر إلى الدولة باعتبارها سلسلة متصلة من الظواهر الاقتصادية التى تتجلى فى تحرير الأسواق ونشر التكنولوجيا ، أما التعريف الثالث فيتمثل فى هيمنة القيم الأمريكية، أما التعريف الرابع فينظر إلى العولمة على أنها نشاط ذو شكل جديد يركز على ثورة المعلومات والتكنولوجيا وعلى إحياء المجتمع المدنى .

---

(٨) john Bail's and Stevesnith: The Globilazation of world politics and introduction to international Relations, London, 1997,p:15

(٩) السيد يسين : العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص٩٥ .

(١٠) السيد يسين : نفس المرجع ، ص٩٩

ولهذا تبدو ملاحظة السيد يسين حول تعريف العولمة صحيحة، فالعولمة عملية كلية، مندمجة الأبعاد والآليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية ، ومن الصعب تناول العولمة من منظور تاريخى أو اقتصادى فقط فثمة تداخل وترابط بين كل هذه الأبعاد(١١) ، وجدير بالذكر أن معظم من تناول مفهوم العولمة من مفكرينا يرون أنها أيديولوجية أو غزو ثقافى أو مشروع غربى الهدف منه تدمير القيم الإسلامية، فلقد ذهب الدكتور الجابرى إلى أنها:" إرادة للهيمنة وبالتالى فهى تعنى قمعاً واقصاءً للخصوصي"(١٢) وهذا يعنى الاختراق الثقافى، ويعتمد هذا الاختراق على القوة المادية ويستهدف نواة الثقافة المغايرة بهدف القضاء عليها نهائيا.

ننتهي من هذا إلى القول بأن مصطلح العولمة ما زال مصطلحا غامضا فى أذهان الناس، وليس هناك تعريف جامع مانع له، إلا أننا نلاحظ من هذه التعريفات أنها تشير إلى أنها عملية ***process*** متطورة باستمرار، حيث يمكن أن يكون هناك عدد من النتائج اعتمادا على المسار الذى تسلكه هذه العملية أثناء تطورها ، كما أننا نلاحظ تركيزها الواضح على البعد الاقتصادى ، وا نها تقوم بتغيير الأفراد والمجتمعات والثقافات والحضارات ، وهى بطبيعة الحال أبعاد متداخلة ومتشابكة ، كما أنها ليست أيديولوجية جديدة ولا معتقداً فكرياً حديثا ، ولكنها فى جوهرها نتيجة لتطورات وقعت ويستمر وقوعها فى المستقبل فهى ظاهرة توفرت لها مقدماتها وأسبابها .

ثانيا: نشـــأة العولمـــــــة

منذ بداية عقد التسعينات من القرن العشرين والحديث يجرى على نطاق واسع فى كل أنحاء العالم وعلى المستويات جمعيها عن العولمة ، فلقد آثارها صامويل هنتنجتون فى مؤلفه"صراع

---

(١١) حسنين توفيق إبراهيم : العولمة الأبعاد والإنعكاسات السياسية، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٨، عدد ٢، ديسمبر ١٩٩٩م، ص١٥٨

(١٢) د.محمد عابد الجابرى: العولمة والهوية الثقافية، عشرة أطروحات، المستقبل العربى، عدد ٢٨٨ ، ١٩٩٨/٢م ص١٧ .

الحضارات" الذى يشير إلى أن البشرية وهى فى طريقها نحو عالم جديد كانت مقبلة على فترة من الحروب الدامية بين المناطق الحضارية الكبرى[١٣] وفرانسيس فوكوياما مؤلف كتاب"نهاية التاريخ" الذى يشخص المرحلة الراهنة فى التاريخ وكأنها مرحلة انتصار نهائى للنموذج السياسى والفكر الليبرالى الذى يحظى بالقبول الواسع في أكبر قدر من الدول والمجتمعات فى العالم[١٤] .

ومع أن أغلب الباحثين يرى أن الظاهرة التى يشير إليها المصطلح ليست حديثة كما توحى حداثة المصطلح، فالعولمة عنده ما هى إلا مجرد لحظة من لحظات التاريخ الحضارى ، أو هى:"مجرد فصل من فصول التاريخ الحضارى العالمى، لكن هذا الفصل لم يكتب محتواه بعد، إنها عنوان هذا الفصل الجديد الذى لا يعرف بعد مضمونه بالكامل"[١٥]وإذا كانت العولمة فى عناصرها الجوهرية تعني ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة فى تبادل السلع والخدمات أو فى انتقال رءوس الأموال، أو فى انتشار المعلومات والأفكار، أو فى تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم ، كل هذه العناصر. وكما يرى البعض . ليست جديدة بل يعرفها العالم منذ زمن بعيد[١٦] .

ولقد تتبع روبرتسون النشأة التاريخية للعولمة ورصد مراحل تطورها عبر الزمان والمكان ، وقد انتهي روبرتسون إلي المراحل الخمس التالية[١٧]

---

(١٣) Samule p .Huntington: The clash of civilization, london, Touch stone Book,1996

(١٤) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٩٣م ، ص١٥

(١٥) د. عبد الخالق عبد الله: العولمة ومحاولة دمج العالم ، كتاب العربى بعنوان الإسلام والغرب ، العدد ٤٩ الكويت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ، ص٩٤

(١٦) جلال أمين ، العولمة والدولة، ضمن العرب والعولمة ، عدد ٢،٢٨٨/ ١٩٩٨م ، ص٢٣

(١٧) روبر تسون : العولمة النظرية الإجتماعية ، ص١٣٢ أيضاً : د. عاطف السيد ، العولمة في ميزان الفكر ، دراسة تحليلية ، فلمنج للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م ، ص ١٢-١٤

المرحلة الأولـــي : وهي المرحلة الجنينية ، وهي مرحلة التكوين ، واستمرت هذه المرحلة في أوربا من بدايات القرن الخامس عشر إلي منتصف القرن الثامن عشر وتميزت بنمو المجتمعات القومية واتساع مجال الكنيسة الكاثوليكية ، كما تعمقت خلالها الأفكار الخاصة بالفرد وبالإنسانية وسادت نظرية مركزية العالم .

المرحلة الثانيـــــة : وهي مرحلة النشوء : وسادت هذه المرحلة في أوربا من منتصف القرن الثامن عشر إلي سبعينيات القرن التاسع عشر ، حيث شهدت هذه المرحلة تحولاً حاداً في فكرة الوحدوية المتجانسة ، بالإضافة إلي تبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية الرسمية .

المرحلة الثالثـــــة : وهي مرحلة الانطلاق وقد استمرت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلي منتصف عشرينيات القرن العشرين ويشير الانطلاق هنا إلي الفترة التي أفسحت فيها اتجاهات العولمة ، ولقد بدأت في هذه المرحلة عملية الصياغة الدولية للأفكار الإنسانية ومحاولة تطبيقها .

المرحلة الرابعـــــة :وهي مرحلة الصراع من أجل الهيمنة واستمرت هذه المرحلة من عشرينات القرن العشرين إلي أواخر الستينات وقد تميزت ببدء الخلافات والحروب الفكرية حول الشروط والمصطلحات الخاصة بعملية العولمة السائدة ، وبالصراعات الكونية حول أشكال الحياة المختلفة .

المرحلة الخامســـــة : وهي مرحلة عدم اليقين وبدأت هذه المرحلة في أواخر الستينات من القرن العشرين ، وقد شهدت قيم ما بعد المادية ونهاية الحرب الباردة ، وشيوع الأسلحة الذرية ، وانتهي النظام الثنائي القومية ، وازداد الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي وبالمواطنة العالمية

وإذا كان هذا الرأي يرجع نشأة العولمة إلي القرن الخامس عشر ، فإن البعض يري أن العولمة إذا كانت تعني دمج العالم ، فإن الدعوة إلي دمج العالم ليست دعوة حديثة بل إنها ارتبطت تاريخياً بالديانات السماوية ، لقد انطلقت هذه الديانات من فكرة وحدة البشريـــــة ،

وبالتالي فإن الجوهر بالنسبة لكل الديانات هو دعوة الشعوب والأمم للتقارب تحت راية الإيمان بوجود إله واحد وقيم ومسلمات مشتركة تحكم السلوك الإنساني في كل أنحاء العالم(١٨)

لكننا نميل إلي أن العولمة ليست قديمة كل القدم ، كما أنها تعني أكثر من مجرد دمج العالم وتقريبه فهي ظاهرة متميزة ، وهي في الأساس وليدة ظروف ومعطيات تاريخية وحضارية ، فإنها قد برزت مع بروز موجة الحداثة [١٩]

وتطورت مع الرأسمالية الحديثة.[٢٠] وظاهرة العولمة لم تكتمل بعد ، ولكنها وصلت في وقتنا الراهن إلى حد لم يسبق أن رآه العالم ، كما قال عنها السيد يسين : "مازلنا في مرحلة فهم الظاهرة واستكشاف القوانين الخفية التي تحكم مسيرتها والتي تسهم في الوقت الراهن فـــــي

---

(١٨) محمد عباس : الثقافة العربية وتحديات العولمة ، مجلة الشئون الاجتماعية ، العدد ٦١ ، ١٩٩٩م ، ص٦٠

(١٩) إن للعولمة سمات مختلفة كل الاختلاف عن الحداثة ولها مفرداتها المختلفة ووسائلها المختلفة ، فعالم العولمة يختلف عن عالم الحداثة في أنه عالم أصبحت فيه حركة الأفراد والسلع والمعلومات أسرع وأسهل من أي وقت آخر ، كذلك فإن عالم العولمة عالم تقلصت فيه المسافات وأصبح عالماً بلا حدود ، وذلك علي عكس عالم الحداثة القائم علي الحدود .

(٢٠) العولمة في شكلها الجديد هي العولمة الرأسمالية أو الهيمنة الرأسمالية العالمية بعد انهيار الشيوعية ، والرأسمالية كما هو معلوم تجدد نفسها ، وهي "لا تكتفي بتجديد نفسها ، بقدر ما تضيف إلي نفسها ما يجعلها رأسمالية أعلي مما كانت عليه سابقاً ، وكأنها مخالفة لما كانت عليه ولو لم تكن كذلك ، لما كان لها هذا الحضور" . إبراهيم محمود : العولمة هل هي انفجار الهوية ؟ الفكر العربي ، عدد ٩٣ ، ١٩٩٨م ، ص١٧٤ ، والرأسمالية لا يمكن لها أن تستمر وتزدهر إلا إذا كانت ساحتها هي العالم كله ، بل يمكن القول إن هذا يمثل فلسفة وروح الرأسمالية ، حيث لا رأسمالية بدون أسواق خارجية ، ولا أسواق خارجية بدون الوصول إلي مرحلة معينة من تطور الإنتاج ، كما أنه لا يمكن تصور أسواق خارجية بدون سيطرة سياسية واقتصادية للدول الرأسمالية علي هذه الأسواق وحمايتها .

تشكيلها وهي في الحقيقة ظاهرة غير مكتملة الملامح ، بل إننا نستطيع أن نقول إن العولمة عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة"[٢١]

ومما لا شك فيه أن القرن العشرين ـ وبالذات النصف الأخير منه ـ قد ساهم في بلورة ظاهرة العولمة وتطورها ، وارتبطت بمؤلفات صامويل هنتنجتون مؤلف كتاب صراع الحضارات" وفرانسيس فوكوياما مؤلف كتاب "نهاية التاريخ" ورونالد روبرتسون مؤلف كتاب "العولمة" الذي يؤكد فيه أن العولمة هي تطور نوعي جديد في التاريخ الإنساني بعد أن أصبح العالم أكثر ترابطاً وأكثر انكماشاً .

ثالثا : مظاهـــر العولـــة .

ولأن العولمة هي الاجتياح الغربي ـ بزعامة أمريكية ـ لصب العالم في قالب الحضارة المهيمنة، فإن الاجتياح لا يترك ميداناً من الميادين إلا ويريد أن يحتويه وخاصة إذا وجد فيه فراغاً يغرى بالاحتواء ، وأول ما يتبادر إلي الذهن في الحديث عن العولمة ومظاهرها هو العولمة الاقتصادية .

[١] العولمة الاقتصـــادية .

إن مظاهر وتجليات العولمة في مجال الاقتصاد أكثر وضوحاً وهي الأكثر اكتمالاً ، وهي الأكثر تحققاً علي أرض الواقع من العولمة السياسية والثقافية : "فالنظم الاقتصادية المختلفة أصبحت متقاربة ومتداخلة ومؤثرة في بعضها البعض ولم تعد هناك حدود وفواصل فيما بينهما"[٢٢] ومن هنا هيمن الفهم الاقتصادي علي ظاهرة العولمة التي هي حتما ليست مقتصرة علي الاقتصاد .

وهدف العولمة الاقتصادية هو تحويل العالم إلي عالم يهتم بالاقتصاد أكثر من اهتمامه بأي شئ آخر بما في ذلك الأخلاق والقيم الإنسانية التي تتراجع وتستبدل بالعلاقات السلعيـــــة

---

(٢١) السيد يسين : في مفهوم العولمة ، ص٧

(٢٢) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، ص ٦٧

والربحية والنفعية[٢٣] وتعتبر منظمة التجارة العالمية هي أهم مؤسسة من مؤسسات العولمة الاقتصادية ، ويشكل إنشاؤها منعطفا في التاريخ الاقتصادي العالمي ، فهي الجهة الوحيدة التي تتولى إدارة العالم تجاريا وذلك من خلال تطبيق مبادئها ، القائمة علي الخصخصة وتحرير الاقتصاد والاقتناع بصلاحية النموذج الرأسمالي بعد انهيار كل النظم والبدائل الاقتصادية الأخرى خاصة النموذج الاشتراكي .

كما أن الشركات متعدية الجنسيات أو العابرة للقوميات هي الأداة الرئيسية للعولمة ، فبواسطتها تتم عملية تدويل ، أو على الأصح عولمة رءوس الأموال والإنتاج والتصريف ومجمل العمليات المالية والتجارية .[٢٤]

[٢] العولمة السياسية .

كانت السياسية دائما وعلي العكس من الاقتصاد محصورة ضمن النطاق المحلي ومعزولة عن التطورات والتأثيرات الخارجية ، فالسياسة بطبيعتها محلية ، بل إن السياسة من أبرز اختصاصات الدولة القومية وممارسة الدولة صلاحيتها وسلطانها علي شعبها وأراضيها وثرواتها الطبيعية ، ونتيجة لطبيعتها المحلية ستكون السياسة من أكثر الأبعاد مقاومة للعولمة التي تتضمن انكماش العالم وا لغاء الحدود الجغرافية وربط الاقتصاد والثقافات والمجتمعات بروابط تتخطى الدول وتتجاوز سيطرتها .

فالعولمة السياسية . من وجهة نظر البعض . لا تعني القضاء علي الدولة أو بروز الحكم الملي وا نما تتضمن دخول البشرية إلي مرحلة سياسية جديدة يتم خلالها الانتقال الحر للقرارات والتشريعات عبر المجتمعات وبأقل قدر من القيود والضوابط [٢٥] فلم تعد الدولة هي مركز السياسة في عالم اليوم ولم تعد صاحبة القرار الوحيد ، وا ذا كانت الدولة تدعى مسئوليتها وتتمسك بسيادتها فإن هذا يعد نظرياً فقط ، أما علي الصعيد العملي فهي لم تعد قادرة علي الثبات ، فالقرارات التي تتخذ في عاصمة من العواصم العالمية سرعان ما تنتشر سريعاً إلي كل العواصم وتؤثر فيها .

---

(٢٣)د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، ص ٦٩

(٢٤) د. محمد دياب : عولمة الاقتصاد ، كتاب العربي ، الكويت ، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م ، ص٦٢

(٢٥) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها ، ص٨٠

كما تلقي العولمة السياسية بتأثيراتها السلبية علي العديد من الدول ، وهي تتمثل بصفة أساسية في القضايا والمشكلات والتحديات ذات الطابع العالمي ومنها علي سبيل المثال مشكلة المخدرات والجريمة المنظمة وانتشار أسلحة الدمار الشامل وتصاعد نزعات التطرف والعنف والإرهاب الدولي(٢٦)

[٣] العولمة الثقافية.

الثقافة(٢٧) هي كل ما يبدعه أو ينتجه الإنسان بيده أو عقله مثل الصناعة والعمل والتفكير فالثقافة هي ذلك الكل المركب الذي ينتجه الإنسان ويشتمل علي المادي وغير المادي ، وهنا نتساءل هل كل ما ينتجه الإنسان يمكن عولمته ؟ بمعني آخر هل من الممكن عولمة الثقافة ؟

وهنا يمكن أن نضع ثلاثة احتمالات :

الاحتمال الأول : وهو القائل إن الثقافة لا تعولم وا ِن أية عولمة للثقافة هي في حقيقة الأمر هيمنة لثقافة معينة علي الثقافات الأخرى ، هيمنة تسند فيها ثقافة معينة إلي قوة من خارج

---

(٢٦) حسنين توفيق إبراهيم : العولمة الأبعاد والانعكاسات السياسية ، عالم الفكر ، ص١٨٩

(٢٧) مصطلح الثقافة يتراوح مدلوله بين اتجاهين متفاوتين : أول هذين الاتجاهين نظري ، ويحصر مدلول مصطلح الثقافة بالإنتاج الفكري والأدبي والفني واللغوي ، ومن هنا أتت كلمة مثقف بمعني الإنسان المطلع الواعي المنتمي إلي عالم الفكر والأدب واللغة . وثاني هذين الاتجاهين يقابل هذا التطبيق بتوسيع مفرط لمدلول المصطلح حتى تكاد كلمة الثقافة culture ترادف الحضارة civilzation ، وبالتالي فالثقافة هي كل مركب يشتمل علي المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من العادات التى يكتسبها الإنسان . وفي المعجم الوسيط : "هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها" المعجم الوسيط ، القاهرة / الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، جـ١ ، ص٩٨ . أما الموسوعة الفلسفية فهي تميل إلي التحديد الذي ميزته اللغة العربية ، وتشير إلي أن اللغة العربية تميز بوضوح بين الحضارة وهي الكلمة التي تدل علي مجموعة المنجزات الاجتماعية ، والثقافة هي الكلمة التي تحمل مضموناً تقريظياً لحالة التقدم العقلي وحده . الموسوعة الفلسفية : مادة ثقافة ، معهد الإنماء العربي ، ص٣١٠

مجال الثقافة سواء كانت هذه القوة مستمدة من مجال التكنولوجيا أو مجال الاقتصاد أو مجال السياسة ، ولكن المهم في الأمر هو أن هذه الهيمنة غير ممكنة .

أما الاحتمال الثاني : استحالة قيام ثقافة معولمة ، وأن العولمة حتى إذا ما انتشرت في مجالات أخري فإنها لن تمتد إلي مجال الثقافة فهي قادرة علي الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية واختلاف المواقع التجارية والتاريخ .

أما الاحتمال الثالث : ويعد احتمالاً معقولاً ونتبناه حيث نتوقع نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة والثقافة ، لا تقوم علي هيمنة ثقافة واحدة فقط ، بل التنوع الثقافي فحسب(٢٨)

وا ٍذا كان هناك إجماع حول معني مفهوم العولمة الاقتصادية فإن ذلك غير صحيح بالنسبة لمفهوم العولمة الثقافية ، ذلك لأن العولمة الثقافية ليست بنفس وضوح العولمة الاقتصادية ، وا ٍذا كانت دول العالم تتنافس للأخذ بسلع ومنتجات العولمة الاقتصادية فإنها تبدو أقل اندفاعاً وا ٍقبالاً في اندفاعها نحو مفاهيم وقيم وأفكار العولمة الثقافية .

ولقد اختلف الباحثون حول عولمة الثقافة ، فمنهم من يري في عولمة الثقافة تجرد من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلي ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس جميعاً ، والاتجاه نحو الانفتاح علي مختلف الأفكار من دون أي تعصب ، تحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوجية بعينها(٢٩) في حين يذهب آخر إلي إن عولمة الثقافة لا تلغي الخصوصية ، بل تؤكدها حيث أن الثقافة هي المعبر الأصلي عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم وعن نظرة هذه الأمة للكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده ، ومن ثم فلابد من وجود ثقافات متعددة ومتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية في الحفاظ علي كيانها ومقوماتها الخاصة(٣٠) بل إن العولمة الثقافية التي تحافظ علي الخصوصيات والثقافات وتنتعش في ظل التنوع الثقافي تقوم بنقل الثقافات والأفكار والأيديولوجيات حتى الأديان بما في ذلك تيارتها المتشددة والمتسامحة إلي المستوي العالمي ،

---

(٢٨) محمد سيد أحمد : مقال حول ندوة العولمة الثقافية ، منشور في صحيفة الراية القطرية يوم ٢ يوليو ١٩٩٨م

(٢٩) جلال أمين : نقد مفهوم العولمة كما يدعو إليه الغرب ، ضمن كتاب العرب والعولمة ، ص١٥٣ .

(٣٠) د . محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، ضمن كتاب العرب والعولمة ، ص٢٩٧ ـ ٣٠٨

ولا شك أن هذا الارتقاء بالثقافات إلي المستوي العالمي سيسمح ببروز مفاهيم وقيم ومواقف وسلوكيات إنسانية مشتركة وعابرة لكل المناطق الحضارية والثقافية ، لذلك فإن الهدف النهائي للعولمة الثقافية هو ليس خلق ثقافة عالمية واحدة ، بل خلق عالم بلا حدود ثقافية(٣١) ويزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية(٣٢)

ولا شك أن الداعين إلي العولمة الثقافية قد غاب عن ذهنهم أن العولمة الثقافية يمكن أن تتجه بوضوح نحو صراع الحضارات ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة علي سائر الثقافات ، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجا علي الصعيد العالمي ، فالعولمة ـ وكما يشير جلال أمين ـ تحمل دائماً في طياتها نوعاً من الغزو الثقافى ، أي قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها(٣٣) وحيث أن البعد الاقتصادي للعولمة يؤثر بقوة في الجانب الثقافي ، فإن من يملك مقاليد القوة الاقتصادية يستطيع أن يفرض ثقافته علي الطرف الأضعف اقتصاديا ، وغالبا ما يعجز الطرف الأضعف عن وقاية نفسه من تأثيرات الثقافة الوافدة فتضطر إلي التخلي التدريجي عن سماتها وقيمها الثقافية لصالح الثقافة العالمية ، أو قد تدفع الجماعات الثقافية والدينية إلي الاحتماء بخصوصيتها هربا من طوفان العولمة الثقافية .

رابعا ـ : العولمة والعقيـــــدة .

تمثل علاقة العولمة بالدين منطقة صراع وتناقض ، فالعولمة قاطرة عملية الحداثة والتحديث ، وبالتالي تهدد الثابت والأصيل كما يتصور المتدينون والأصوليون الذين يحاولون الحفاظ على نقاء هذا العالم وثباته ، باعتبار أن التغيرات والتحولات السريعة هي مصدر تشويش لفهم وا ٍدراك الحكمة من خلق هذا العالم أو ما يطلق عليه السنن الإلهية .

---

(٣١) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها ، ص٧٦

(٣٢) سالم يفوت : هويتنا الثقافية والعولمة ، مجلة فكر ونقد ، السنة الثانية العدد ١١ ، ١٩٩٨م ص٣٧ ـ ص٤٣.

(٣٣) جلال أمين : العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي ، عدد ٣٢٤ ، ١٩٩٨م ، ص٦٠

ولهذا التحول تجلياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ولكنه لا يخلو أيضا من طابع ديني ، ومع ذلك فهو يمثل تهديدا لكل الأديان ولذلك أسبابه فهو يركز على الإنساني على حساب الإلهي ، وعلى العقل مقابل العقيدة [٣٤]

إن هذا المفهوم للعولمة ليس جديدا ، فوجود عناصر اشتراك بين البشر . وتبعا لذلك إمكان اتحادهم في بعض الأفكار والنظم والقوانين . ليس بجديد ، ولقد كان انقسام البشرية إلى مؤمنين بالإسلام وضالين كافرين به ، لا يزال أخطر الفروق المحددة للعولمة : وفي عصرنا هذا اتخذ الانقسام شكل فلسفات مادية ملحدة رافضة للدين وشرائعه وقيمه الأخلاقية ، رافضة لقبول أية فكرة جاءت في القرآن الكريم أو جاء بها الوحي وتلك هي العلمانية التي تقرر أن الإنسان ليس في حاجة إلى السماء لكي تنظم له حياته أو تزوده بأفكاره ونظرياته"[٣٥] فهدف العولمة والقوي العلمانية* هو تعميم الفلسفة المادية في العالم الإسلامي لتشويه الإسلام بكل الطرق والوسائل لتنفير المسلمين منه لكي يتم إفساح المجال لإحلال الفلسفات المادية وما بني عليها من نظم وقوانين وقيم محل نظائرها الإسلامية وهذا الإحلال يمثل أحد أهم مظاهر العولمة في العالم الإسلامي .

---

(٣٤) حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية ، عالم الفكر الكويت ، مجلد ٢٨ ، عدد ٢ ديسمبر ١٩٩٩م ، ص ١٠٨

(٣٥) د. أحمد عبدالرحمن : العولمة وجهة نظر إسلامية ، ضمن كتاب الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م ، ص ٩٥ .

(*) العلمانية : مشتقة من العلم بمعني العالم أو العلم ، والعلماني هو خلاف الديني (انظر مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، مطبعة مصر ، ١٩٦١م،ص٥٠) والعلمانية تعني فصل الدين أو أبعاده عن الدولة وقيام الدولة على أسس دنيوية لا دينية ، تتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي ، د. محمد عمارة : الإسلام والعروبة والعلمانية ، دار الوحدة بيروت ١٩٨١م ، ص ٦٠ ، أيضاً أنور الجندي : سقوط العلمانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٤٥ ، ومما يلابس العولمة ويتقاطع معها العلمانية فالعولمة تعبر عن طموحات شعوب علمانية أقامت معظم شئونها بعيداً عن مفاهيم أي دين ، وبما أن العولمة تعمم معطيات ثقافية دنيوية ومادية دون أي اهتمام بمدي انسجام تلك المعطيات مع الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يمكن القول إن العولمة تتنفس في محيط علماني وتنشر الفكر العلماني وتؤسس لأرضيات وخلفيات علمانية ، وهذا يشكل تحدياً من أكبر التحديات للأمة الإسلامية .

فالعولمة عند هؤلاء هي استبعاد الإسلام وا ٍقصاؤه عنالحياة ، وا ٍحلال الفكر الأمريكي المادي العلماني البرجماتي النفعي محله ، بحيث لا يكون هناك عالم إسلامي وعالم مسيحي وعالم علماني بل عالم واحد علماني مادي يستقي فكره وشرائعه وأخلاقياته من الخبرة البشرية [٣٦] وهذا هو المطلوب من خلال عولمة الإسلام ، وهو أن يتم إبعاده عن مجالات الفكر والعمل وبذلك يتحول المسلمون إلى أتباع للغرب هو الذي يفكر لهم وهو الذي يشرع وينظم وما عليهم إلا أن يتلقوا عنه كل ذلك صاغرين وبذلك تزول كل مقومات الوحدة الإسلامية .

والعولمة الأمريكية تعولم وتفرض ثقافة الحداثة الغربية التي أقامت وتقيم قطيعة معرفية مع الموروث ومع الموروث الديني على وجه الخصوص فمنذ عصر التنوير الغربي . الوضعي العلماني والمادي . أقامت ثقافة الحداثة قطيعة مع الله والغيب والدين عندما تمحورت حول الإنسان بدلاً من الله وعندما جعلت هذا الإنسان طبيعياً بدلاً من أن يكون ربانياً [٣٧] فهذا الغرض لثقافة الحداثة، والقطيعة مع الإسلام هو ما تسعي إليه العولمة الغربية هذه الأيام لا بواسطة الفتح المسلح . كما كان الحال إبان الاستعمار التقليدي . وا ٍنما بواسطة الغلو العلماني.

وبتحليل بنية الفكر القائد للحضارة الغربية الذي يقود العولمة الآن نجد أن قيادة الفكر الغربي بوجه عام انتقلت إلى الفكر البرجماتي الأمريكي الذي ينطلق من قناعة مسبقة بعجز الفكر المادي والمثالي عن إدراك الحقيقة المعرفية من ثم فإنه لا جدوى من البحث عن إجابات عن الأسئلة المصيرية الكبري واستبدال ذلك بالبحث عن الأشياء الحسية والنفعية .

والبرجماتية لا تعتقد بصحة الأفكار إلا بمدي ما تحققه من منفعة عملية ، والحقيقة لديها هي كل ما ينتج عن التجريب و التطبيق ، فليس مثلاً أن يكون الله موجود أو غير موجود ، وا ٍنما المهم على حد قول وليم جيمس الأمريكي أن نتمتع بإله إذا كان لدينا إله" [٣٨] وعندما تكون المنفعة العملية هي المعيار الوحيد للحكم على الأشياء فإن ذلك يؤول في التطبيق العملي إلى إحلال المصالح الخاصة محل المبادئ والقيم التي تحكم الأمور فالبرجماتية هي

---

(٣٦) أحمد عبد الرحمن : العولمة وجهة نظر إسلامية ، ص ١٠٥

(٣٧) د. محمد عمارة : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، ضمن كتاب المسلم المعاصر القاهرة ، العد ١٠٤ ، ٢٠٠٢م ، ص٢٥

(٣٨) د. محمد إبراهيم مبروك : الإسلام والعولمة ، ص ١٠٥

عملية انتقال بارعة من المذهبية الفلسفية الملتزمة إلى التبرير الفلسفي لكل ما هو قائم بالفعل على أنه ما تفرضه الاحتياجات الإنسانية ومن هنا كان التركيز على اللذة المادية .

هكذا فإن الفكر الكامن وراء العولمة هو الفكر البرجماتي النفعي ، وهذا خلاف الإسلام الذي يمثل منظومة إيديولوجية مترابطة لا تقبل التجزؤ تكشف عن الحقيقة وتدعو إلى المساواة والعدل وتحقيق الأمان والانحياز للفقراء والمستضعفين في الأرض ويربط بين ذلك وبين الإيمان بالله ، ولهذا فإن الإسلام " وبسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين سيكون أكثر جاذبية فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوي العالمي هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح " (٣٩)

هكذا فإن إشكالية الصراع في عصر العولمة تتمحور حول قضية العقيدة ومحاولة اقصائها وفصلها عن الحياة ، لأنها هي القوة الدافعة للنمو والنهوض وسبيل لإحياء واسترداد الفاعلية ، وهي القوة المانعة من السقوط والذوبان في الآخر ،وخاصة العقيدة الإسلامية لأنها تشكل رؤية شاملة لله والإنسان والحياة وذلك أن الالتزام بالقيم الإسلامية الحقة يحقق التحصين الكامل ويحول دون الاختراق ، لذلك نري أن المعارك المختلفة الألوان والأشكال إنما تدور رحاها في معظم المواقع حول العقيدة بشكل أو بآخر .

ذلك أن العقيدة أو الدين يمثل أعلي درجات الحرية والاعتراف بالتنوع وأرقى أنواع الاختيار وتحقيق كرامة الإنسان وهذا الاختيار لا يتحقق إلا بالحرية والحوار وهو المشكل الأساسي للثقافة والتربية والدافع الرئيسي للسلوك وهو الذي يمنح الفرد شخصيته ويشكل قسماتها وملامحها ، ويمكنها من أدوات الحوار مع الأخر بل والقبول بالآخر لذلك نري أن فطرة التدين متأصلة في النفس البشرية وهي قديمة قدم الإنسان .

---

(٣٩) هانس بيتر مارتين وهارالد شومان : فخ العولمة ،الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة د. عدنان عباس على ، عالم المعرفة ، عدد ٢٣٨، الكويت ١٩٩٨ م ، ص ١٤٥

خامسا : المسلمـــون والعولمـــــة

باعتبار أن ما يدرس هو كيف يفهم الناس الإسلام وكيف يمارسونه ، وهو ما يدخل في أفعال الناس وطريقة تفكيرهم في الدين نفسه ، وا ٍذا قلنا الإسلام والعولمة فإن عمليات العولمة تسير في تغير قبل أن تكون نظرية لكي يحاورها ويواجهها الإسلام كعقيدة .

وأعتقد أن الرأي الأول هو الصواب فقد يكون الخلط بين الإرهاب والإسلام هو أن البعض ينسب أو يلصق ممارسات جماعات بعينها إلى الإسلام ككل والإسلام منها براء ، وترجع علاقة المسلمين بالعولمة إلى الصراع والاحتكاك والتفاعل المستمر تاريخياً منذ الحروب الصليبية وفرض الاستعمار همينته على الشرق الإسلامي فالعولمة لدي المسلمين مشروع غربي للهيمنة .

والفكر الإسلامي الحديث والمعاصر كله حوار وصراع مع الغرب ، وهذا ما حدد الإطار العام لأسئلة الفكر العربي والإسلامي ، إذ دارت الأسئلة عما يجب عليهم وعما يمكنهم أن يأخذوه من الغرب لأحياء مجتمعاتهم ؟ كما أظهر النقاش أن الفكر الإسلامي يهتم بنظرة الغرب له لذلك ظل فترة طويلة في مرحلة الرد على اتهامات الغرب .

وهذا ما يظهر في محاولة الأستاذ جمال الدين الأفغاني ورده على المستشرق رينان ، فرينان وكان قد ادعي في محاضرة له عن " الإسلام والعلم" ألقاها في السربون عام ١٨٨٣م ، أن الإسلام والعلم لا يتفقان مما يستوجب القول استنتاجاً أن الإسلام والمدنية لا يتفقان [٤٠] وهذا ما ظهر أيضا في محاولة الإمام محمد عبده للرد على هانوتو وزير خارجية فرنسا آنذاك . والذي ذهب إلى "أن الغرب لم يتقدم إلا حين تخلص من سلطان الدين على العقل ، وحكم العقل في كل أمور حياته وبهذا كانت السلطة المدنية أهم وأشد من الرابطة الدينية وهي التي كانت قاعدة أوروبا الأولي في سياستها وبها تقدمت وتمدنت ونجحت[٤١] أي أن هانوتو يركز على ضرورة الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية ويؤكد باستمرار أن أوروبا لم تتقدم

---

(٤٠) صلاح زكي أحمد : قادة الفكر العربي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣م ، ص ٣٥

(٤١) الإمام محمد عبده : الإسلام دين العلم والمدنية ،تحقيق ودراسة د/عاطف العراقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٧٩ أيضاً : د . عاطف العراقي : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٩٨م ، ص ١٧٨ .

إلا بعد أن تم الفصل بين السلطتين ، وأن سوء التفاهم الذي حدث بين الحاكمين والمحكومين في البلاد الإسلامية إنما سببه الصلة الأكيدة بين السياسة والدين في العالم الإسلامي .

وهنا يناقش الإمام محمد عبده هانوتو حيث يري أن العلم والمدنية لم ينبعا من معين أوروبا وا إنما جاءها هذا بمخالطة الأمم السابقة ، ثم بين فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية ، إذ أخذت عنها المدنية في يوم كانت تعيش أوروبا في ظلام دامس .

فالمسلمون . فيما يري محمد عبده . مسوقون بنابل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والعزة والمجد و لا يتوافر شيء من ذلك إلا بالعلم فهم محفوزون أشد الحفز إلى طلب العلم وتلمسه في كل مكان" (٤٢)

أما الفترة الحالية فقد حفلت بجدل واسع حول فكرة صدام الحضارات التي أطلقها صموئيل هنتنجتون* في كتاب يحمل الاسم نفسه ، وتثير أسئلة هنتنجتون عدد من الإشكالات تتعلق بعلاقة العولمة بالهوية لأنها تنطلق من الصراع وهذا وضع متناقض مع فكرة العولمة التي يفترض فيها أن تقوم على التوحيد الثقافي .

يقول هنتنجتون:" إن الثقافة والهوية الثقافية والتي هي على المستوي العام هويات حضارية هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم الحرب الباردة (٤٣)

ويبشر بعالم تكون فيه الهويات الثقافية . العرقية والقومية والدينية والحضارية . واضحة وتصبح هي المركز الرئيسي وتتشكل فيه العداوات والتحالفات وسياسات الدول طبقاً لعوامل التقارب أو الاختلاف الثقافي (٤٤) وصراع الحضارات عنده هو صراع قبلي على نطاق كوني ،

---

(٤٢)الإمام محمد عبده : الإسلام دين العلم والمدنية ص٨٨

(*) صمويل هنتنجتون هو أستاذ العلوم السياسية ومدير مؤسسة جون أولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفرد نشرت محاضرته بعنوان (صدام الحضارات) في مجلة الشئون الخارجية يونيو ١٩٩٣م وهي تضع الغرب بإزاء الإسلام بصورة خاصة وعنيفة.

(٤٣) صمويل هنتنجتون : صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي ترجمة طلعت الشايب ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص٧٧

(٤٤) نفس المرجع ، ص٩٨

وتأتي نظريته على عكس نظرية فوكوياما التي تقول بنهاية التاريخ أو نهاية الصراع بانتصار الليبرالية الاقتصادية السياسية أو انتصار الحضارة الغربية وسيادتها على العالم(٤٥)

إن فكرة الصراع الحضاري أو التحدي الحضاري أو ما يسمي صراع البقاء للأقوى ، أو الصراع الطبقي هى الأساس الذى تقوم عليه الحضارة الغربية بمذاهبها المتعددة وتطبيقاتها المتنوعة ، والصراع يعنى محاولة إلغاء الآخر بشتي الأساليب والوسائل لذلك فإن أية حضارة أو ثقافة تفتقد النزوع الإنساني وتقوم على العرق والجنس واللون والطبقة هي حضارة تمييز وتعالٍ بطبيعتها ، الأمر الذي يقودها إلى الاعتقاد بأن البقاء مرهون بإلغاء الآخر ، لذلك تصبح الطبيعة العدوانية من أهم خصائصها .

فهى لا تستطيع أن تعيش بدون عدو ، يضمن تماسكها واستمرارها ، فإن لم يكن لها عدو،فلتصنع عدواً ، وا ن لم تستطع صناعه الأعداء ، لاستمرار التعبئة والمواجهة ، ترد سهامها إلى ذاتها فتتآكل من داخلها أو يتحول عدوانها إلى الداخل(٤٦) وهذا خلاف الحضارة الإسلامية ، حيث إنها حضارة إنسانية ، حضارة رحمة وحب وهداية واعتراف بالآخر ، وليست حضارة حقد وصراع ، هي حضارة الإنسان ، التي تدعو إلى الحوار على كلمة سواء ، وتعتمد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتتنكر للإكراه فى الدين ، وتبتغي إلحاق الرحمة بالعالمين ، لأن كل الناس هم محل الخطاب السماوي ، والقوة فى الإسلام إنما تشرع حتي تحمي حرية الاختيار وتحقق إنسانية الإنسان.

ومن هذا المنظور يتم تحليل وفهم العولمة ، ومن ثم التعامل معها ، وبالتالي فإن النظرة للعولمة هي امتداد للبحث عن كيفية التعامل مع الغرب من خلال تأكيد الهوية الإسلامية.

سادسا: عالميـــة الإسلام والعولمـــــة :

يقع الخلط بين العولمة والعالمية ، ومع أن كل منهما يتسم بالخروج من الفضاء المحلي إلى فضاء أرحب ، إلا أن العولمة تلتصق بتعميم التقنية والسلع والأموال والمعلومات على حيـــن

---

(٤٥) فرنسيس فوكوياما : نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ص ٩

(٤٦) د. أحمد القديدى : الإسلام وصراع الحضارات : سلسلة كتاب الأمة ، قطر ، الطبعة الأولي ١٩٩٥م ، ص٣٣.

تنحو العالمية نحو القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافات ، فالعولمة وكما يفرق بينها د. الجابري(٤٧) وبين العالمية هي : "إرادة للهيمنة والفعل الأحادي ذى الاتجاه الواحد ، وبالتالي فهي تعني قمعاً وإقصاءً للخصوصي ، وبين العالمية Universalism والتي تعبر –عن طموح إلى الإرتفاع بالخصوصية إلى مستوي عالمي ، بمعني أن العولمة احتواء للعالم ، والعالمية تَفَتُّح على ما هو عالمي وكوني ، العولمة تحاول إيجاد أنماط عالمية ثابتة وفرضها على الأمم والشعوب ، على حين أن العالمية محاولة إلى التماهي مع مستويات تبلورت على نحو طبيعي عبر حقب عديدة .

فالمفهوم الأول أي العالمية يحمل معني يفيد الانفتاح ورغبة التعرف على الآخرين ليس بدافع النفي ولكن برغبة التكامل والتفاعل(٤٨) أي أنها تحمل رغبة فى الأخذ والعطاء وفى التعارف والحوار ، إنها طريق لجعل الإيثار يحل محل الأثره ، وهي " نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات والتلاقح بين الثقافات والمقارنة بين الأنساق الفكرية ، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول(٤٩) أما العولمة فهي تعني الاختراق الثقافى للآخر ومحو شخصيته وتطويقه لمصلحة القوى المهيمنة على الشأن الدولى ، فكأنها تنفيه من العالم ، وهي تهدف إلى السيطرة على الوعي والهيمنة عليه وتوجيهه وبذلك يتم تعطيل فاعلية المنطق والتشويش على نطاق من القيم(٥٠) فهي بصيغتها وبنيتها اللغوية تعني القصر والقهر والجبر وليس الاختيار فهى على وزن الأمركة والفرنسة ومن ثم تختلف عن العالمية(٥١).

---

(٤٧) د. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، عشرة أطروحات ، المستقبل العربي ، عد ٢٨ ، فبراير ١٩٩٨م ، ص١٧.

(٤٨) عبد سعيد عبد إسماعيل : العولمة والعالم الإسلامي ، دار الأندلس الخضراء ، السعودية ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، ص ٤١.

(٤٩) د. محمد عمارة : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، ضمن كتاب المسلم المعاصر ، ص٧.

(٥٠) د. عبد الكريم بكار : العولمة طبيعتها ووسائلها ، دار الأعلام للنشر ، الأردن ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٠.

(٥١) د. محمد عمارة : العولمة والعالمية ، مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٥م ، ص١١.

ومن هذا التحليل للفظ العالمية والعولمة فإنه غير صحيح ما يذهب إليه أحد الباحثين والذي يؤكد أن فى الإسلام عقائد وتعاليم تشكل مذهبا إسلاميا فى العولمة يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخري ونقومها فى ضوئه[٥٢] والصحيح أن فى الإسلام مبادئ وتعاليم عالمية ، فلقد جاء الإسلام عالمياً وللناس كافة بلا عنصرية أو تفاضل وفي هذا يقول الحق تعالي :﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٥٣] وقال تعالى :(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[٥٤] وقال أيضا :(إن هو إلا ذكرى للعالمين)[٥٥] وقال تعالى:(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)[٥٦] وهذه الآيات جميعها تصرح ببعثة الرسولﷺ إلى الناس جميعا دون عنصرية فهو رحمة ونذير للناس كافة ، وسلك الإسلام طريقة حضارية سليمة فى الدعوة لعالميته.

ولقد وضع الله فى هذا الدين قانونا عالمياملزما للمسلمين وغيرهم وهو أن تكون الحرية الدينية مكفولة لجميع الناس ، حيث أن حرية التدين تعتبر من أرقي خصائص الإنسانية وكرامتها ، قال تعالي:(لا إكراه في الدين) [٥٧] وقال تعالى:(لست عليهم بمسيطر)[٥٨] ومصداق ذلك عمليا أن الإسلام قد قبل في مجتمعه الآخر ، المغاير عقيدة ودينا ، واعترف به ، واعتبره محلا للدعوة والحوار وأفرد القرآن الكريم مساحات كبيرة جدا لهذا الآخر ، ليمكن المسلم من فهمه وكيفية التعامل معه إضافة إلى اعتبار اتباع الأنبياء أمة واحدة تاريخياً ، قال تعالي: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[٥٩]

ولكن هذه العالمية الإسلامية لا تعني فى الرؤية الإسلامية انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم وا لغاءها للآخر الحضاري ، بل إنها تعني التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخـــر فى

---

(٥٢) د. أحمد عبد الرحمن : العولمة وجهة نظر إسلامية ، ضمن كتاب الإسلام والعولمة ، ص٩١.

(٥٣) سورة الانبياء آية : ١٠٧.

(٥٤) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(٥٥) سورة الأنعام آية : ٩ .

(٥٦) سورة لأعراف آية١٥٨.

(٥٧) سورة البقرة آية : ٢٥٦.

(٥٨)سورة الغاشية آية :٢٢ .

(٥٩) سورة الانبياء آية : ٩٢.

ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافي والاختلاف فى الشعوب والأمم والقبائل ، وفى الألوان والأجناس والأعراق وفى الألسنة واللغات وفى الشرائع والملل الدينية ، إن كل هذا التنوع والاختلاف هو القاعدة الطبيعية ، والسنة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفو إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[٦٠] وقال تعالى: (ومن آياته خلق السماوات والأرض وا ٍختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)[٦١] ذلك هو المفهوم الإسلامي للعالمية نزوع عالمي ، يري التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون ، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط العدل بين العزلة وبين التبعية فتصبح الصورة الحضارية للعالم هي صورة منتدي الحضارات[٦٢]

خلاصة القول إن الإسلام بطبيعته عالمى وأن عالميته تقوم على التعريف به ، وما فيه من قيم وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخري بأديانها ، لأن الإسلام وا ٍن كان عقيدة من ناحية فهو نظام من ناحية أخري وقاعدته هي قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون)[٦٣] وهذه الآية هى التي تجعل الإسلام عالميا، وتجعله يرفض العولمة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربي و الأمريكي أربابا من دون الله.

إذن فهناك فرق جوهري بين عالمية الإسلام والعولمة الجديدة ، فعالمية الإسلام هدفها نشر القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية وتأكيد حق كل إنسان فى الحرية والمساواه وحماية المعتقدات والعقول ، أما العولمة الجديدة فهي تنطوي على استغلال وقهر للإنسان من حيث هو إنسان من جانب الشركات العالمية الكبري التي لاهدف لها إلا الربح على حساب كل القيم والأخلاق والعقيدة.

---

(٦٠) سورة الحجرات آية : ١٣.

(٦١) سورة الروم آية :٢٢.

(٦٢) د. محمد عمارة : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، ص٧ أيضاً : د. شوقى ضيف: عالمية الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص٣.

(٦٣) سورة آل عمران آية :٦٤.

سابعا : فرص ومخاطر العولمة على عالمنا الإسلامي

من المهم تشخيص العولمة تشخيصا متوازنا بكل مالها وما عليها دون اتخاذ مواقف عاطفية وعقائدية مسبقة أو إطلاق أحكام قيمية وأخلاقية تعبر عن افتراضات بعيدة كل البعد عن حقيقة ما يجري فى العالم من تحولات حضارية عميقة.

و لا شك أن العولمة تحمل معها فرصا معرفية هائلة مصاحبة للثورة العلمية والتكنولوجية والتي جعلت البشرية اليوم أمام آفاق معرفية لانهائية ، وهي تساعدنا على أن نفكر على المستوي العالمي إذ إن من طبيعة التقدم الحضاري أنه يزيد في إمكانيات الناس ، ويحسن من مهارتهم كما أنها تساعد الأمم على أن تكتشف كثيرا من الأجزاء التالفة فى ثقافاتها وأن تستفيد من الخبرات المتوفرة لدي الآخرين فى معالجتها أو التخلص منها .

ولعل من حسنات العولمة أن الدوائر المغلقة المفروضة على الأمم بدأت تتلاشى وتنهار وتسقط الأسوار لتحقيق الفرصة التاريخية للإقلاع من جديد ، ومحاولة إظهار الدين الإسلامى على المستوي العالمي ليصبح ظاهراً واضحاً مستفيداً من نفس الوسائل والطرق التي بنيت لتوصيل الآخر بكل أحماله إلينا ، تحت شعار "دعه يعمل ، دعه يمر" فكيف نفكر نحن أيضاً بـ " ماذا نعمل ، كيف نمر؟ " لتوصيل ما عندنا إلى الآخر ، وعندنا الكثير مما نقدمه.

وهذا ليس جديدا فى تاريخ الحضارات ، فكثيرا ما تحول الشر خيرا ، وتحولت الحملات المعادية إلى كتائب آمنت بالإسلام وحملته إلى العالم ، وذلك أن عوامل البقاء والخلود والاستمرار والقدرة على العطاء هي من لوازم الرسالة الخالدة ، ومن خصائص الدين الإسلامي[٦٤] ولكن بجانب هذه الفرص التي يمكن ان تحققها العولمة ، فإن العولمة تحمل فى طياتها مخاطر عديدة ومتنوعة وتتفاوت هذه المخاطر بين السياسة والثقافة واللغة والاقتصاد ، ولذا فإننا نتساءل عن تلك المخاطر والتهديدات التي تواجة العولمة بها الثقافات الإنسانية عامة والثقافة الإسلامية خاصة؟

---

(٦٤) د. بركات محمد مراد : ظاهرة العولمة رؤية نقدية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م،ص٤٧.

(١) العدوان على الهويـــــة .

يمكننا القول بأن الهوية [٦٥] هي صفات وأحاسيس ونمط حياة ، هي في كل شيء ، في الملبس والمأكل والفن والثقافة ، أي أنها نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به ، فيتغير معه دون أن يذوب فيه ، يتأصل بداخله لكنه يكتسب الجديد دائماً ، الهوية إذن هي أحد مكونات الشخصية الوطنية ، أو هى مجموع الخصائص والمميزات العقدية والأخلاقية والثقافية التي ينفرد بها شعب من الشعوب أو أمة من الأمم[٦٦] وسوف تتأذي الهويات من العولمة بمقدار بعدها عن الأسس التي تقوم عليها ثقافة الغرب وقيمه وتطلعاته ، حيث إن على المسلمين أن يتنازلوا عن خصوصياتهم الثقافية من أجل الأقتراب من المفاهيم والمعايير الكونية التي تنشرها العولمة، وإلا فسوف ينبذون ويهمشون وتتجاهل ثقافاتهم المحلية وكأنها غير موجودة[٦٧] .

(٢) المخاطر الاقتصاديـــة والاجتماعيـــــــة

تتمثل فى حرية السوق وما يرتبط بذلك من إزالة الحواجز أمام تدفقات التجارة والسلع كا تتمثل أيضاً فى الشركات المتعددة الجنسيات التي تتحكم فى الإدارة الأقتصادية العالمية وتراكم أرباحها وبالتالي "زيادة حدة الفجوة بين الدول الغنية التي تزداد غني وتقدماً وهيمنة والدول الفقيرة التي تزداد فقرا وتخلفا وتبعية للنظام الرأسمالي العالمي"[٦٨] ولقد كان

---

(٦٥) لازم مفهوم الهوية مضمون فلسفي وديني يؤكد على المقدس والدائم والمتسق ، أي غير المتناقض في معني الهوية ، وفي المعجم نجد أن الهوية تعني الذات وهذه تفسر : ذات الشيء حقيقته وخاصته (المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، طبعة ١٩٩٧م ، ص ٢٤٢ وتعرف في القاموس الفلسفي بأنها ما يُعرف الشيء في ذاته دون اللجوء إلى عناصر خارجية لتعريفه وتستعمل أيضاً للدلالة على الجوهر والماهية ، أما في المنطق فإنها تشير إلى معنيين : التساوي والتشابه المطلق بين كمين أو بين كيفين وهنا تعني التوافق ، أو أن يكون الشيء ثابتاً لا يتغير بما يعتريه ، أو ما يعتري ما يحيط به ، وهنا تعني الثبات " يوسف الصديق : المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، الطبقة الثانية ١٩٨٠م ، ص ١١٥

(٦٦) د. عبد الكريم بكار : العولمة طبيعتها ووسائلها ، ص٨٤.

(٦٧) نفس المرجع ، ص ٨٥.

(٦٨) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها ، ص٤٣.

الاقتصاد فيما مضى فى خدمة العقيدة وخدمة السياسة الاستراتيجية ، أما اليوم فقد انقلب الوضع رأسا على عقب ، وأضحي كل ذلك فى خدمة الاقتصاد ومن هذا المنطلق ونظراً لأن الدول النامية لا تشكل قوة إنتاجية حقيقية إلا بارتباطها بالمراكز الرأسمالية المسيطرة عليها فسوف تظل بعيدة عن دائرة السياسة(٦٩).

وبما أن العولمة تعني عالمية السوق إنتاجا واستهلاكا علي حد سواء فإنها تتعارض بالدرجة الأولي مع مفهوم الاقتصاد الوطني ، فالشركات متعدية الجنسية تسعي وراء الربح أولاً وأخيرا ولا تعنيها مصلحة اقتصاد البلد الذي تعمل فيه ومتطلبات نموه ، إذ إن موضع الإنتاج لا يعرف وطنا أو أى انتماء ، فهذه الشركات تعمل وفق مبدأ المنافسة ، أي أنها تسعي للحصول علي إنتاج جيد ، بجودة عالية ، وسعر أقل ، ويد عاملة أرخص ، كما تتعارض العولمة الاقتصادية مع مبدأ السيادة الوطنية للدول ، فالاقتصاد بات يضيق أكثر بالحدود القومية ويتهمش دور الحكومات في إدارة الاقتصاد الوطني والتحكم بآلياته ، وأصبحت الدول عاجزة عن مواجهة تقلبات الدورة الاقتصادية في ضوء انفتاح الاقتصاد الوطني علي السوق العالمية .

ولا ينبغى أن نغفل سيئات العولمة فى المجال الاجتماعي فمع اشتداد حركة العولمة تنهار الخدمات المقدمة للفقراء ، فالمؤسسات النقدية الدولية تشترط دائماً لتقديم القروض والمساعدات تخفيض الدعم الممنوح للسلع وتقليص الخدمات المجانية وهو ما يشكل ضغطاً على الفئات الأشد فقراً .

(٣) نشر الثقافة الاستهلاكية .

لقد تحولت الثقافة الاستهلاكية – إحدي مجالات النظام الرأسمالي – إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية ، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وا دخال الضعف لديه ، وذلك بهدف إخضاعه نهائيا للقوى المسيطرة وا ضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائيا إلى واقع الإحباط بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها(٧٠) فالعولمة تعد إحدى

---

(٦٩) د. عبد الكريم بكار : العولمة طبيعتها ووسائلها ، ص٥١.

(٧٠) مسعود طاهر : الثقافة العربية فى مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة ، بيروت ، الفكر العربي المعاصر ، عدد ١٠٠ ، ١٩٩٣م ، ص٣٦.

التحديات التي تقف أمام بناء المجتمعات التقليدية لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها ، وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج ينتظر ما يجود به الغرب ومراكز العالم من سلع جاهزة الصنع ، بل تجعله يتباهي بما لا ينتجه فهو القادر على استهلاك مالا يصنعه مما يشكل لديه قيم الاتكالية أو التواكل(٧١) .

إن من ينظر إلى ثقافة المجتمعات اليوم يمكنه وصفها بأنها ثقافة استهلاكية ، فكيف يكون موقفنا لو أدركنا أن هذا الذي تجري عولمته ليس إلا سلعا وخدمات بعينها ذات طبيعة وخصائص معينه أفرزتها ثقافة بعينها وأنه ليس هناك أي التزام قانوني أو ديني أو خلقي يجبرنا على قبول هذه السلع والخدمات والثقافة بالذات.

(٤) العولمة وإحياء نزعات وظواهر التطرف والعنف .

ورغم أنه لا يمكن فهم هذه الظواهر بمعزل عن ظروف كل مجتمع وتحولاته الداخلية إلا أن بعض متغيرات عملية العولمة تسهم فى تغذيتها ، فكثافة عمليات التدفق الإعلامى والثقافي الغربي تعتبر من العوامل التي تغذي تيارات وجماعات التشدد والتطرف فى العالم الإسلامي والتي تنظر إلى هذا الأمر باعتباره نوعاً من الاستعمار الثقافي الذي يستهدف الإسلام باعتباره محور الهوية الثقافية والحضارية للمسلمين.

ونظرية صدام الحضارات وثيقة الارتباط بمرحلة تصاعد الإرهاب ، وهيمنته على الوضع الدولي والقول باستمرار القطبية الثنائية في صورة مستحدثة لا في صورة مواجهة بين الشيوعية والرأسمالية بين الشرق والغرب(٧٢) ولقد اتضح من خلال الحوار مع المتطرفين أن التمسك بثقافة وطنية هو رد فعل على الاختراق الثقافي وقوته ، كما أن دراسة جماعة "عبدة الشيطان" والتي ظهرت في الفترة الأخيرة في مصر كجماعة تدعو إلى ثقافة مغتربة وسلوكيات متناقضة مستمدة من الخارج مع سلبيات بالداخل هي نفس الأسباب التي أدت إلى ظهور جماعة المتطرفين، حيث تمثل جماعة المتطرفين إحياء للثقافات الدينية في محاولة الاعتراض

---

(٧١) أحمد مجدي حجازي : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية ، ص١٣٤.

(٧٢) محمد سيد أحمد : تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات :ضمن الإسلام والغرب ، كتاب العربي ، عدد ٤٩ الكويت ٢٠٠٢م ، ص ٢١٢

على الاختراق الثقافي العلماني، بينما تمثل جماعة عبدة الشيطان نشر ثقافة تجمع متناقضات فكرية بين الأنا والآخر .

هكذا تعد العولمة استهدافا أو مخططا مقصودا بهدف القضاء على الدين أو العقيدة ، وا ٍذا كانت لا تستطيع ذلك الآن فهي قد تسبب قدرا من العلمنة أو قد تؤدي إلى الانشغال عن الدين .

(٥) عولمة القيـــــم الغربيـــة

إن عولمة القيم والثقافة هي سبيل التأييد لذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي فاحتلال العقل كان دائماً وأبداً السبيل لتأييد احتلال الأرض ونهب الثروة ، وا ٍذا شئنا أن نضرب الأمثال على نماذج لعولمة منظومة القيم الغربية ونمط الحياة الأمريكي من خلال صياغة هذه المنظومة في مواثيق يتم عولمتها باسم الأمم المتحدة لتجسيد معني عولمة القيم الغربية وفرضها على مختلف الأمم والشعوب والدول والحضارات والمعتقدات والثقافات " فالأسرة قيمة من القيم الإسلامية وعلى صلاحها يبني صلاح الأمة والمجتمع ، ولهذه الأسرة مفهوم إسلامي يقيمها على الزواج الشرعي الذي يحقق الاختصاص بين ذكر وأنثى ولكن وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤م تسعي لعولمة التحلل والتفكك الأسري ، فهي تتحدث عن اقتران لا يقوم على الزواج وهو ما يشيع في العلاقات المحرمة دينياً بين رجلين أو امرأتين . عند الشواذ [٧٣] " فنحن أمام عولمة مفهوم الأسرة الذي لا يقف بها عند حدود الزواج ، بل يدخل فيها كل الأفراد الناشطين جنسيا ومن كل الأعمار وهو مفهوم غربي أصبح متعارف عليه ، ذلك هو نموذج عولمة قيم التفكك الأسري والانحلال الجنسي وفرضها على العالم باسم الأمم المتحدة ومن خلال وثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ، هذه الوثيقة التي ربطت بين عولمة القيم وعولمة الاقتصاد [٧٤]

فلا يمكن لأي قوة من القوي التي تدفع بحركة العولمة أن تدعي في يوم ما أنها استهدفت نشر الفضيلة أو ساعدت على تدعيم البناء الأسري ، أو وطدت لقيم النزاهة والتسامح والتعاون فضلاً عن تعزيز الارتباط بالله أو العمل للآخرة فهناك أثر سلبي للعولمـــــة

---

(٧٣) د. محمد عمارة : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، ص ١٩

(٧٤) نفس المرجع ، ص ٢٠

على القيم والإخلاق السائدة في العالم الإسلامي نظر لبعد قيمها وأصولها الأخلاقية عن جوهر ما تروج له العولمة .

(٦) عولمة اللغات الغربية

ومع عولمة القيم الغربية وثقافة الحداثة تتم أيضا عولمة اللغات الغربية ، فقضية اللغة وما تحمله من دلالات تعتبر أوعية للتفكير وليس مجرد وسيلة للتعبير ، وما تحمله وتعبر عنه من حالات نفسية وشعورية وما تمتلكه من مصطلحات ومفاهيم هى خلاصة لعقل الأمة وتجاربها وخبراتها[٧٥] واللغة هى أداة الفعل الحضارى ووسيلة التكوين والتشكيل الثقافى إنها وعاء الهوية وأداه التواصل بين الأجيال، هى التراث والحاضر والمستقبل لأنها طريقة فهم التراث والتاريخ والقيم، لهذا كله كانت ولا تزال مستهدفة من الآخر فى عملية الصراع والحوار الحضارى[٧٦] فالأمة التي تلغى لغتها هى أمة متوقفة حضاريا عن الامتداد والإبداع ومهزومة حضاريا إن صح التعبير، وسوف تستمر هزيمتنا ويتوقف نمونا ويغيب إبداعنا وتحاصر رسالتنا طالما أننا نفكر بأوعية الآخرين، ونصب أفكارهم من خلال لغاتهم.

ولاشك أن هذا الاختراق إلى الهوية الإسلامية قد أتى عن طريق نشر اللغة الإنجليزية والفرنسية والتقليل من أهمية اللغة العربية ، فالطفل العربي يفتح عينيه على كتابات بالإنجليزية على ملابسه وملابس الآخرين وعلى هداياه ... في كل شيء حتى يستقر لديه أن هذه هى لغته الأصلية وأن اللغة العربية هى اللغة الثانية أو اللغة الميتة، لغة الإسلام ولغة القرآن الكريم.

هكذا يتم اجتياح العولمة لكل الجهات ومختلف الميادين من الاقتصاد والسياسة إلى القيم والثقافة وحتى الدين واللغة، ونحن لا نرى المشكلة من زاوية التشاؤم، إنما يجب أن نضع المشكلة فى الإطار الواقعي الصحيح، فالعولمة ما هى إلا واقع لابد من الاعتراف بوجوده وبالتالى تصبح المشكلة هل نحن قادرون على مواجهة تحديات العولمة؟ وكيف؟

---

(٧٥) نفس المرجع ، ص٢٩

(٧٦) د. بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة رؤية نقدية ، ص٣٩

ثامنا: كيف نواجـــه العولمـــــــة؟

إذا كنا قد أشرنا . فيما سبق . إلى أن عملية العولمة لها تأثيراتها السلبية على الناحية السلوكية والعقدية فى عالمنا الإسلامى، إلا أن هذا لا يعنى أنه لا توجد إمكانيات لتقليص مخاطر العولمة، ومن أخطر المواقف التعامل مع العولمة بمعيار الرفض المطلق، أو القبول المطلق، فالرفض المطلق للعولمة لن يمكن الدول والمجتمعات من تجنب مخاطرها، كما أن القبول المطلق لن يمكننا من جنى ثمارها ففى القبول المطلق- وكما يذهب د/ زكى نجيب محمود . طاعة العبيد، وفى الرفض المطلق عناد الأطفال(٧٧) ولهذا فإن الكل مجمع على أن الإنكار والاستنكار موقفان غير مقبولين إزاء ما نواجهه من العولمة ويستوى معهما موقف الاندفاع والهرولة للحاق بالركب دون فهم حقيقة ما يجرى، فالهدف ليس نقد الظاهرة بل فهمها وتحليلها وبلورة رد الفعل المثالى إزاءها(٧٨)وهنا نتساءل عما يجب عمله لمواجهة تحديات العولمة؟

(١) نشر الوعـــى بالعولمـــــــة

نقطة البداية فى مواجهة العولمة والتعامل معها هو أن تعى قوى اليقظة والأصالة الوطنية والقومية والإسلامية فى عالم الإسلام حقائق الموقف دون تهويل أو تهوين، وأن تحدد نقاط قوتها والفرص المتاحة أمامها فى مواجهة هذه التحديات، والمشروع الحضارى لأى أمة من الأمم هو استراتيجيتها العليا والتى على أساسها تتحدد كل أهداف عملها ووسائله ، والأمة الإسلامية تعانى اليوم من غياب المشروع الحضارى الذى يحدد مجرى أهدافها ووسائلها من هنا يقول مالك بن نبي :

"لم يكن المسلم عندما فتح عينيه فى عالم الاقتصاد، سوى شئ يسخر لكل عمل يريده الاستعمار ولم تكن له فى هذه الأعمال صلة موضوعية، لقد كان أداة عمل مستمر فقط، فلم يتكون لديه وعى اقتصادى ولا تجربة ولا خبرة وكان أميل إلى تقليد الحاجات منه إلى تقليد الوسائل، لأنه فقد وعيه الحضارى(٧٩)

---

(٧٧) د. زكى نجيب محمود: تجديد الفكر العربى، دار الشروق، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٣٥

(٧٨) د. أسامة الخولى: كتاب العرب والعولمة، ، ص٨

(٧٩) مالك بن نبى : المسلم فى عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م ، ص٧

وفى ضوء التحديات والمستجدات التى يشهدها العالم فإنه لامناص ولاخيار أمام الأمة الإسلامية فى المرحلة المقبلة سوى الاعتماد على الذات، فالأزمة الحقيقية لأمتنا الإسلامية هى انعدام الوعى بذواتنا، أزمة فقدان الثقة بقدراتنا على العمل والفعل، إن ما نقصده هو ما يسميه مالك بن نبي الإرادة الحضارية التى إن فقدها المجتمع :" نراه وكأنما تجمدت وسائله مهما كان كمها، وكأنما تعطل إمكانه مهما كان حجمه المادى"(٨٠)

وهو ما سماه الأفغانى ومحمد عبده" التعصب" والذى وصفاه بأنه يرفع نفوس الأمة عن الدنايا وارتكاب الخيانات وهو إذا تحقق بين أفراد الأمة:" يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حى لا يجد الرأس بارتفاعه غنى عن القدم، ولا يرى القدمان فى تطرفهما انحطاطا فى رتبة الوجود"(٨١) وحين يخشى المسلمون اختراق العولمة لهويتهم، حينئذ لن يكون الاختراق بسبب قوة العولمة ، بل يعود ذلك إلى ضعف فى هوية المسلمين ، حيث يمكن للعولمة أن تحقق أهدافها فى الأمة القابلة للاستلاب الحضاري والهزيمة النفسية، لأنها فقدت الوعى والإخلاص لرسالتها(٨٢) وهنا يسعفنا مفهوم مالك بن نبي الثاقب وهو القابلية للاستعمار لنستخدم مفهوم القابلية للعولمة، إذ أن العامل الذاتى هو الحاسم دائماً مهما كانت العوامل الخارجية(٨٣) فالتحدى فى جوهره داخلى، ولقد أكد القرآن الكريم أن ضعف الأمم يبدأ فى محتويات الأنفس أى ما فيها من معتقدات وقيم وأخلاق، فلقد قال الله تعالى:(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٨٤) فالمسلمون اليوم مطالبون ببث التوعية بين أبنائهم حتى يتفهموا الأوضاع التى تحيط بهم، ولا تستطيع الأمة الإسلامية مواجهة العولمة وتحدياتها إلا إذا ملكت روح العلم والعمل.

---

(٨٠) نفس المرجع، ص٦٤

(٨١) جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده: العروة الوثقى، دار الكتاب المصرى، بيروت ١٩٧٠م، ص٧٠

(٨٢) عبد سعيد عبد اسماعيل: العولمة والعالم الإسلامى، ص٢٣٨– ٢٣٩

(٨٣) حيدر ابراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية، ص١١٤

(٨٤) سورة الرعد آيه:١١

(٢) الحـــوار الحضـــارى

الحوار الحضارى أو الحوار مع الآخر،و إتاحة الفرصة لتوسيع دائرة التفاهم، وا ٍبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم، وا ٍيصال دين الله إليه بأفضل الوسائل والمجادلة له بالتى هى أحسن مع مراعاة أدب الحوار وشرائطه فهو من الفروض الشرعية الكفائية التي تعتبر من مسؤولية الأمة جميعها.

إن الحوار مع الآخر وا ٍتاحة الفرصة لتبادل الرأى للوصول إلى قناعات معينة أو للوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون هو مطلب إسلامى، بل إنه تكليف شرعى يقع تحت قوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[٨٥] ذلك إن الدعوة إلى دين الله وسبيله محلها ابتداء الآخر[٨٦]

فإننا فى حاجة إلى الحوار مع الآخر أكثر من حاجته إلى الحوار معنا، ومالم نفتح عقولنا وقلوبنا للأخذ عنه والنقل منه لكل علم نافع ومفيد، فسوف تتسع الهوة بيننا وبينه، ولا يجوز التعليل فى ذلك بأى منطق يحمل معنى التمنطق بأننا مسلمون وهم غير مسلمين ، فليس فى ظاهر الشرع ما يمنع الأخذ من الغير لكل نافع ومفيد[٨٧]

فمن سنن الله فى كونه أن الحضارات يأخذ بعضها عن بعض ويؤثر بعضها فى بعض قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[٨٨] فالحضارة الإسلامية فى حقيقتها وتاريخها ونواتجها حضارة إنسانية، لاتخص جنسا، أو لونا، أو عرقا أو منطقة جغرافية، لقد تجاوزت بدعوتها وممارستها كل الفوارق، وبذلك انتفت عن الإسلام وحضارته صفة العنصرية والعرقية .

(٣) التنميـــــة الاقتصاديـــــة

حيث تقع فى قلب عملية الاستقلال الوطنى، فلا استقلال وطنيا بغير استقلال تنموى، فلابد أن تتجه خططنا الاقتصادية إلى الاكتفاء الذاتى، وأن نعتمد على أنفسنا فى إنتـــاج كل

---

(٨٥) سورة النحل آية: ١٢٥

(٨٦) د. أحمد القديدى: الإسلام وصراع الحضارات، ص٢٧

(٨٧) د. محمد السيد الجليند: المسلمون وفقه السنن الإلهيه، ضمن كتاب الإسلام والعولمة ، ص٥٣

(٨٨) سورة الحجرات آية: ١٣

مستلزماتنا الحياتية، وهذا يتطلب فى الأساس الارتكاز على الإيمان لأن عملية التنمية عملية حضارية شاملة وعملية إيمانية فى الأساس[٨٩]

(٤) الاجتهـــاد الفكـــرى

إننا لا نستطيع مواجهة التحديات إلا إذا فهمنا الإسلام فهما حقيقيا، فلابد أن تبث فى الفكر الإسلامي روح جديدة هى فى الحقيقة ليست ابتداعا، وا ٍنما هي عودة إلى إسلام محمد ﷺ وليس إسلام الفقهاء ، فلابد من تنحية كل ما يفصل بيننا وبين القرآن وسنة النبى محمد ﷺ من فقه ومذهبية ، لأننا من خلال تلك المذهبية لم نعد نستمد ديننا من أصوله ولكن أصبحنا نستمده من التراث والتقليد.

ونعتقد أن هذا الاجتهاد الفكرى المؤطر بالمرجعية الشرعية الذى نحاول ونسعى للوصول إليه، لابد منه للتأهل لحقبة العولمة، حتى نتمكن به من تجريد النصوص والقيم الإسلامية من حدود الزمان والمكان والأشخاص ومحاولة توليدها من جديد فى التعامل مع قضايا الحاضر وا ٍبصار احتمالات المستقبل، ذلك أن الوصول إلى تلك المرحلة لا يمكن أن يتحقق بالتمنى، وا ٍنما يتطلب إعادة النظر فى موارد تشكيلنا الثقافى.

وهذا يعنى أننا فى حاجة إلى فكر إسلامى جديد، لأن الفكر الإسلامى الحالى قاصر عن مواجهة تحديات ومتطلبات المرحلة الراهنة، فنحن نحتاج إلى الفكر الإسلامى القادر على استيعاب المتغيرات الحضارية وتقديم البديل الحضارى المستخلص من الحقائق الإسلامية مع الواقع.

---

(٨٩) د. سيد الدسوقى: التنمية المستقلة فى الإسلام ، ضمن كتاب الإسلام والعولمة،ص١٦٣

الخاتمـــــــــة

بعد دراسة ظاهرة العولمة وأثرها على العقيدة الدينية اتضح لنا :

أولا : أن العولمة تعبر عن مرحلة تاريخية من مراحل تطور العالم وهي مرحلة حافلة بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تسعي إلى تغيير العالم من خلال خلق قيم ومشكلات جديدة ، وهذه المرحلة لا تزال في بداياتها ، حيث إن العديد من الظواهر والتطورات الوتبطة بالعولمة لا تزال تتفاعل وا ِن الكثير من نتائجها وتأثيراتها الإيجابية والسلبية لم تتبلور بصورة واضحة بعد ، وهذا مما يؤكد ضرورة دراستها من خلال نظرة تكاملية .

ثانيا : تحمل العولمة في طياتها فرص كثيرة ومتنوعة ، وبالإمكان استغلالها لتحقيق أهداف وغايات إنسانية وعالمية ، كنشر الإسلام والدعوة إليه على المستوي العالمي كما أنها تحمل فرصاً معرفية مصاحبة للثورة العلمية والتكنولوجية ، ولكن بجانب هذه الفرص فالعولمة تحمل في طياتها مخاطر عديدة متنوعة وتتفاوت مخاطرها بين المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعقدية والمهم فهمها فهماً متوازناً بكل ما لها وما عليها دون اتخاذ مواقف عاطفية وعقائدية مسبقة أو إطلاق أحكام قيمية وأخلاقية ليس لها أساس من الصحة

ثالثا: إن العولمة من أكثر المفاهيم غموضاً وذلك لأنها تنطوي على عمليات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية متداخلة ، فهي دعوة لنفي الحضارات الأخري غير الغربية أو هي تحمل في طياتها نوعاً من الغزو الثقافي أي قهر الثقافة الأقوي لثقافة أضعف منها ، لذلك فالعولمة الثقافية . والتي تشتمل على القيم والعادات والأديان والأيديولوجيات . لا تعني مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات بل إنها توحي باحتمال نشر الثقافة الاستهلاكية والتي تقف أمام بناء المجتمعات لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج ينتظر ما يجود به الغرب من سلع جاهزة الصنع ، بل تجعله يتباهي بمالا ينتجه مما تشكل لدية قيم الاتكالية والتواكل .

رابعا : العلاقة مع العولمة تحتاج لإعادة نظر تعي العولمة كظاهرة شاملة والتعامل معها ككل ولا يعني القبول غير النقدي ، ولكن استخدام العقل في كل ما يدور فالمسلون ليسوا بحاجة

إلى مناعة أخلاقية ضد العولمة بل هم في حاجة إلى مناعة فكرية وعقلية وهم حين يخشون اختراق العولمة لهويتهم ، حينئذ لن يكون الاختراق بسبب قوة العولمة ، بل سيعود ذلك إلى ضعف في هوية المسلمين .

خامسا : تتمحور إشكالية الصراع في عصر العولمة حول قضية العقيدة ومحاولة إقصائها وفصلها عن الحياة . لأنها هي القوة الدافعة إلى النهوض والنمو وخاصة العقيدة الدينية الإسلامية لأنها تشكل رؤية شاملة لله والكون والإنسان . وذلك عن طريق تعميم الفلسفة المادية في العالم الإسلامي لتشويه صورة الإسلام بكل السبل والطرق لتنفير المسلمين منه لكي يتم إفساح المجال لإحلال الفلسفات المادية وما بُني عليها من قيم محل نظائرها الإسلامية .

فالعولمة عند هؤلاء هي محاولة لاستبعاد الإسلام كعقيدة دينية عن الحياة وإحلال الفكر الأمريكي المادي العلماني البرجماتي النفعي محله ، بحيث لا يكون هناك عالم مسيحي وعالم إسلامي وعالم علماني ، بل عالم واحد فقط عالم علماني ، وبذلك يتحول المسلمون إلى اتباع للغرب ، هو الذي يفكر لهم ويشرع لهم وينظم لهم وما عليهم إلا أن يتلقوا عنه كل ذلك صاغرين .

سادسا : إذا كانت العولمة تتضمن اختفاء التنوع الحضاري والقضاء على التعدد الثقافي ونزوع الذاتية الحضارية ، ومحاولة فرض قيم وثقافة مجتمع ما على القيم والثقافات الإسلامية ، فإنها قد تكون . في رأينا . دعوة غير مباشرة للمسلمين إلى ممارسة النقد الذاتي ليعيدوا النظر في حساباتهم ، ويعيدوا ترتيب أوضاعهم الداخلية ، فالنقد الذاتي هو الخطوة الأولي نحو الوعي بعيوبنا ، وإقامة المشروع الحضاري الذي يحدد للأمة الإسلامية أهدافها ووسائلها ، والذي يستند إلى فكر إسلامي جديد ، لأن الفكر الحالي قاصر عن مواجهة تحديات العولمة ، إن ما تحتاجه الأمة الإسلامية هو ثقافة التغير والإبداع التي تستلهم قدرتها على التغير من النص القرآني الثابت: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(الرعد:١١)

المصادر والمراجـــــــــــع

١- *ابراهيم (د.حسنين توفيق)* : العولمة، الأبعاد والانعكاسات السياسية، عالم الفكر الكويت، مجلد ٢٨، عدد ٢، ديسمبر ١٩٩٩م.

٢- *ابراهيم (د.حيدر)*: العولمة وجدل الهوية الثقافية، عالم الفكر، الكويت مجلد ٢٨، عدد ٢ ، ديسمبر ١٩٩٩م.

٣- *ابن نبي (مالك)*: المسلم فى عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.

٤- *أحمد (عزت السيد)*: العولمة والغزو الثقافى، مجلة الفكر العربى، عدد ٩٦، ربيع ١٩٩٩م.

٥-*أحمد (محمد سيد)*: تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات، ضمن كتاب الإسلام والغرب، كتاب العربى، الكويت عدد ٤٩، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٦- *اسماعيل (عبد سعيد عبد)*: العولمة والعالم الإسلامى، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع جده السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٧- *البنا (أ.جمال)*: الإسلام دين العالمية لا العولمة، ضمن كتاب الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٨- *الجابرى(د.محمد عابد)*: العولمة والهوية الثقافية، عشرة أطروحات، المستقبل العربى، عدد٢٢٨، فبراير ١٩٩٨م.

٩- *الجليند (د.محمد سيد)*: المسلمون وفقه السنن الإلهية، ضمن كتاب الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

١٠- *السيد (د. عاطف)*: العولمة فى ميزان الفكر، دراسة تحليلية، فلمنج للطباعة ، القاهرة، ٢٠٠٠م

١١- *العراقي (د. عاطف)* : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٩٨م.

١٢- *القديدى (أحمد)*: الإسلام وصراع الحضارات، كتاب الأمة، قطر، عدد ٤٤،الطبعة الأولى ١٩٩٥م

١٣- *المسيرى (د.عبد الوهاب)*: العولمة والشرق أوسطية، ضمن كتاب الإسلام والعولمة،الدار القومية العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

١٤- *أمين (جلال)*: العولمة والدولة، المستقبل العربى، ملف العرب والعولمة، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨م

١٥- *بكار(د. عبد الكريم)*: العولمة، طبيعتها وسائلها تحدياتها والتعامل معها، دار الإعلام للنشر، الأردن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.

١٦- *حجازى (أحمد مجدى)*: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، عالم الفكر، الكويت مجلد ٢٨، عدد ٢، ديسمبر ١٩٩٩م.

١٧- *روبرتسون (رونالد)*: العولمة، النظرية الاجتماعية و الثقافية والكونية، ترجمة أحمد محمود، نورا أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٨- *زقزوق (د. محمود حمدى)*: الإسلام فى عصر العولمة، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى ٢٠٠١م.

١٩- *عباس(محمد)*: الثقافة العربية وتحديات العولمة، مجلة الشئون الاجتماعية، عدد ٦١، ١٩٩٩م.

٢٠- *عبد الرحمن (أحمد)*: العولمة وجهة نظر إسلامية، ضمن كتاب الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢١- *عبد الله (د. عبد الخالق)*: العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر الكويت، مجلد ٢٨، عدد ٢، ديسمبر ١٩٩٩م.

٢٢- ---------- : العولمة ومحاولة دمج العالم، ضمن"الإسلام والغرب" كتاب العربى، عدد ٤٩، الكويت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٣- *عبده (الأمام محمد)*: الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق د. عاطف العراقى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٤- *عمارة (د.محمد)*: مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ضمن كتاب المسلم المعاصر، العدد ١٠٤ ، ٢٠٠٢م.

٢٥- ---------- : العولمة والعالمية، مقال منشور بجريدة الأهرام المصرية، بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٥م

٢٦- *فوكوياما (فرانسيس)*: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٧- *مبروك (د.محمد ابراهيم)*: الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢٨- *مراد (د. بركات محمد)*: ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الأمة، قطر، العدد ٨٦، ٢٠٠١م.

٢٩- *يسين (السيد)* : فى مفهوم العولمة، المستقبل العربى، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨م.

٣٠---------- : العولمة والطريق الثالث ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ١٩٩٩م

الفصل الرابـــــع

قضية الحضارة ورؤية مالك بن نبـي

ويحتـــــوي على النقـــاط التاليـــة:

تمهيـــــــد

أولا ـ : مدي اهتمام مالك بن نبي بالحضارة

ثانيا ـ :العامل الديني ودوره فى تكوين الحضارة

ثالثا ـ : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

رابعا ـ : شروط النهضة

خامسا ـ :الحضارة والقابلية للاستعمار

سادسا ـ : كيف يمكن إزالة القابلية للاستعمار

سابعا ـ : الدورة الحضارية عند مالك بن نبي

الخاتمـــــة

المصادر والمراجع

جامعة المنصورة

رؤية مالك بن نبي الفلسفية للحضارة

بحث مقدم من

د. إبراهيم محمد رشاد إبراهيم

أستاذ الفلسفة الإسلامية. كلية الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادي

٢٠٠٧م

تمهيـــــــد

يعتبر مالك بن نبي ومدرسته من أكثر المدارس الفكرية التي كان لها أثر واضح في تحديد وصنع ملامح الفكر الإسلامي الحديث،خاصة أن هذه المدرسة اهتمت بدراسة مشكلات الأمة الإسلامية؛ انطلاقا من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة ، فقد كانت جهوده لبناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة ؛سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو المناهج التي اعتمدها في ذلك التناول.

ولم يكن ابن نبي مفكرا إصلاحيا بالمعنى المتعارف عليه عند معظم من تناول مؤلفاته ، بل كانمفكراً معرفيا ، أدرك أزمة الأمة الفكرية ، وهو واحد من أهم رواد مدرسة إسلامية المعرفة وا إصلاح مناهج الفكر"[(١)]و لا غرابة أن نجد من الدارسين للفكر الإسلامي الحديث من يعتبر مالك بن نبي بمثابة ابن خلدون العصر الحديث ، وبأنهأبرز مفكر عربي عُني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون ، ومع أنه قد تمثل فلسفة الحضارة الحديثة تمثلا عميقا، واستلهم منها أعمال بعض الفلاسفة الغربيين فإن ابن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر"[(٢)] وهو نفسه لا يخفي تأثره بفكر ابن خلدون ونظرياته حول العمران البشري،بل أشار إلى ذلك في مواضع شتى من كتبه، كما ذكر ذلك في مذكرات حياته "شاهد القرن"[(٣)] فهو يعد ممن جاءوا بأفكار عميقة في النهوض الحضاري ، وأبدع مشروعا فكريا للتغلب على مشكلات الحضارة من خلال رؤية تنطلق من الإسلام ، وتستلهم روح العصر، فاندرجت مؤلفاته التي زادت عن العشرين كتابا كعناوين فرعية لشعاره الكبير مشكلات الحضارة.

وهكذا ظهر مالك بن نبي وكأنه صدى لأفكار ابن خلدون ، يهمس في وعي الأمة بلغة القرن العشرين، فأظهر أمراضها مع وصف أسباب النهضة ، كما رصد أساليب الاستعمار في السيطرة على المسلمين ، ووضع لهم معادلات وقوانين الإقلاع الحضاري ، ولكن الأمة لم تقلع حضارياً ، وذلك إما لثقل حجم التخلف بين أفرادها ومؤسساتهاوا إما لضعف المحرك المقرر أن

---

(١) د.نصر عارف :هندسة البناء الحضاري عند مالك بن نبي مقال بمجلة الفكر ،الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عدد أبريل ١٩٩٤م ، ص١٢

(٢) د. فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، ص٤١٠

(٣) مالك بن نبي : مذكراته شاهد القرن ، ترجمة مروان القنواتي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٦٩م ، ص٢٠.

يقلع بها، وا ٍما لاجتماع السببين معا ، ومع ذلك فقد بقيت هذه المعادلات والقوانين نظريات مفيدة للذين يهتمون بانطلاق المشروع الحضاري للأمم(١)

كما يشغل مالك بن نبي موقعا خاصا في الفكر الإسلامي الحديث ، فهو أولا نتاج لأطول تجربة خاضها مجتمع مسلم مع الاستعمار وهي تجربة الجزائر ، وهو ثانياً يعد استمراراً للتيار الإصلاحي الذي قاده في مصر الشيخ محمد عبده وتلاميذه ، وفي الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كذلك الدعوة السلفية التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسميت بالوهابية ، وهذه القاعدة الفكرية التي انطلق منها إصلاحية عبده وابن باديس والدعوة السلفية في الجزيرة العربية تفيدنا في فهم توجهه الفكري العام.

أما عن مؤلفاته فأهمها الظاهرة القرآنية ، بين الرشاد والتيه ، تأملات ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، شروط النهضة ، الصراع الفكري فى البلاد المستعمرة ، في مهب المعركة ،المسلم في عالم الاقتصاد ، مشكلة الثقافة ، ميلاد مجتمع ، وجهة العالم الإسلامي.

---

(١) مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولي ،١٩٧٨م ، ص ١٤

أولا: مدي اهتمام مالك بن نبي بمشكلة الحضارة

لقد أختار مالك بن نبي عنوانا واحدا لكل كتبهوا إسهاماته الفكرية و هو مشكلات الحضارة ،فوضع يده على جوهر المشكلة وهي أن المسألة حضارية وثقافية في المقام الأول ، حيث هناك محاولة لإخضاع العالم للقيم الحضارية الغربية ،وأن التحرر من الاستعمار والتخلف مرتبط بالتأكيد على القيم الحضارية الإسلامية وفهم المسألة في إطار الصراع الحضار ي ،لذا فهو يعد . وكما يذهب أحد الباحثين . من أبرز المفكرين الذين عنوا بالبحث في البناء الحضاري،ويكفي أن نقر أ مؤلفاته لنكشف قوة التحليل وعمق الطرح فيما يخص عملية التغيير الثقافي في المجتمع أو طرق السيطرة الفكرية(١)

ومشكلةالحضار ة هذا العنوان كان جوابا لسؤال ما هي أسباب تقهقر المسلمين ،وما هي شروط النهضة ؟ والإجابة عن هذا السؤال كانت محور كتابات الذين تصدوا للإصلاح عند مفكرينا، ولكن مالك بن نبي يرى أن هؤلاء كانوا لا يعالجون المرض بقدر ما يعالجون أعراضه ، والمرض الحقيقي هو في داخل شخصية المسلم، فهو يحمل بين جنبيه أمراضاً اجتماعية ونفسية وفكرية تعُيقهُ عن النهوض:فكيف نصوغ عقله وشخصيته ؛ حتى يعود إلى فعاليته؟ ويتمثل الجواب عنده في أن:"مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلةحضار ة ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلة ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها والمسلم اليوم لا يعيش حالة حضارة ،وا إنما هو من بقايا حضارة ، ولابد من إدخاله مرة ثانية في دورة الحضارة(٢)

هذه الإشكالية دعت كثيرا من مفكري العالم الإسلامي لمناقشة أسبابها ونتائجها ومحاولة الخروج منها ، ويعتبر مفكرنا أحد أبرز الذين أقلقتهم هذه الإشكالية حيث سعى لمعالجتها ، وتميز بنظرته الشمولية ،وذهب إلى أن :"جمال الدين الأفغاني رأي أن المشكلة سياسية ، بينما يرى رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقـــــــــة المرض بل يتحدث عن

---

(١) خالد أبو الفتوح : مقال نحو وعي سنني ، مجلة البيان ، العدد ٨٩ ، ص١٦

(٢) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، د.عبد الصبور شاهين ، دار الفكر بدمشق ،١٩٧٩م ، ص١٦

أعراضه"(١) وذلك لأن "مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارة ، ولأن الحضارة مصطلح كغيره من المصطلحات يخضع لرؤية وتحليل لايمكن الإجماع عليها بشكل نهائي"(٢) أي أن ابن نبي قد نظر إلى المشكلة على أنها مشكلة حضارة،من هنا أختارها عنواناً عاماً لكل كتبه.

ثانيا: العامل الديني ودوره فى تكوين الحضـــــــارة

رأى مفكرنا أن كل حضارة تبدأ بظهور الفكرة الدينية التي تقوم بتركيب عناصر الحضارة ، فهي تنظم الطاقة الحيوية للأفراد وتثير فيهم الحركة والنشاط بحيث يتحرر الفرد فى هذه المرحلة من هيمنة الغريزة ويخضع لهيمنة الروح ، حيث تصل شبكة العلاقات الاجتماعية إلى قمة كثافتها ، فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ،هذا هو النهوض ، وهو يكافئ فى الحضارة الإسلامية المرحلة النبوية ومرحلة الخلافة الراشدة(٣) وهي المرحلة الأولي لقيام الحضارة الإسلامية ، ويؤرخ لنهاية هذه المرحلة بمعركة صفين.

أما المرحلة الثانية: فتنعطف فيها الحضارة بسبب المشكلات المادية الناتجة عن توسع المجتمع الوليد حيث تكف فيها الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز ويبدأ عهد العقل ، ويعادل هذا المنعطف فى الحضارة الإسلامية المرحلة الأموية والعباسية ، وهو منعطف العقل ،غير أن هذا العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز فى التحرر من قيودها ، إذ أخذت الروح تفقد نفوذها ،كما يكف المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد(٤)

وفى هذه المرحلة تنقص لفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية ، وا ن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجهها فتزدهر العلوم والفنون ، ولكن مرضا اجتماعيا يكون قد بدأ ، فالطبيعة تستعيد سيطرتها على المجتمع والفرد شيئا فشيئا، وهنا تدخل الحضارة فى طورها الثالث ، وهو طور الانحطاط والانحلال،ولا يعود للفكرة الدينية من وظيفة اجتماعية ، وتعود الأشياء كما كانت فى

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٧

(٢) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم على ، مكتبة عمار القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م ، ص٢٥

(٣) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الإنشاء للطباعة والنشر ، طرابلس لبنان– توزيع دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م ، ص١٠٣

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٣

مجتمع منحل ، وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية بانحلال المجتمع إلى ذرات لا رابط بينها ، وتنتهي بهذا دورة الحضارة(١)

دور الدين إذا في الحضارة عند ابن نبي هو دور العامل المركب لعناصرها ، واختفاء هذا الدور يعني تحلل هذه العناصر إلى وضع غير مركب أي تحلل الحضارة ، وهذه الفرضية تنطبق على جميع الحضارات ، فالحضارة الغربية في رأي ابن نبي بنتها الفكرة المسيحية التي دفعت البداوة الجرمانية بعد ستة قرون من الإسلام إلى تكوين هذا الكيان الذي أسسه شارلمان ، ذلك أن المسيحية على رأيه حين ظهرت في الشرق لم تأت إلى أرض بكر بل جاءت إلى وسط خليط تعمل فيه ثقافات متنوعة ، وليس كذلك كان الأمر في أوروبا حين بعث فيها شارلمان الروح المسيحية(٢)

وحتى الحضارة التي قادتها الأحزاب الشيوعية الملحدة لا يستثنيها ابن نبي من هذه القاعدة فهي من جهة نتاج لأزمة في المسيحية ومن جهة أخرى لم تقم حقيقة في مستواها الإنساني على الأفكار الماركسية الملحدة بل قامت على تفاني أفراد توجههم فكـــــرة عن التضحية في سبيل المصلحة العامة ، وهو يقول فى هذا الصدد: "تعتبر الشيوعية النظرية قبل كل شيء فكرة ماركس، ولكن هناك شيوعية واقعية ، هي في جوهرها نشاط المؤمنين المدفوعين بنفس القوى الداخلية التي دفعت غيرهم من المؤمنين في مختلف العصو ر، أولئك الذين شهدوا مولد الحضارات ، فالظاهرة متماثلة في جوهرها النفسي ومحددة هنا وهناك بنفس سلوك الفرد حيال مشاكل المجتمع"(٣)

ويميز مفكرنا بين وضعين متناقضين للإنسان :

الأول : وضع ما قبل الحضارة ، والثاني : وضع ما بعد الحضارة.

الوضع الأول هو وضع الإنسان الفطري أو الطبيعي ، وهو مستعد فى الدخول فى دورة الحضارة كما هو الحال مع العرب قبيل ظهور الإسلام،أما الحالة الثانية: فهي حالة الإنسان الذي تفسخ حضارياً وهي حالة الإنسان ما عاد قابلا لإنجاز عمل إلا إذا تغير هو نفســـه من

---

(١) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص١٠٣

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٤

(٣) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٥٤

جذوره الأساسية(١)

ويمثل ابن نبي للحالين بجزئي الماء قبل وصوله إلى الخزان وبعد خروجه منه ، ففي الحالة الأولى يكون الجزيء مشحوناً بطاقة كامنة سيبذلها منتجا عملا ، وأما الحالة الثانية فإن الجزيء يكون قد فقد طاقته ولم يعد فى إمكانه أن يستعيدها إلا بواسطة عملية جوهرية تتمثل فى عملية التبخر التى ترجع به إلى حالة بخارية وفي التيارات الجوية الملائمة التي ترجعه إلى أصله،حيث يتم تحوله من جديد إلى جزيء مائي(٢)

لذا فإن العالم الإسلامي إذا أراد أن يجتاز نفس المرحلة بمعني أنه إذا أراد إنجاز مهمة تركيب الحضارة فى زمن معين ، فيجب عليه أن يقتبس من الكيماوي طريقته ، ويعلم أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتي:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت

ففي المصباح مثلاً يوجد الإنسان خلف العملية العلمية والصناعية ، التى يعتبر المصباح ثمرتها ،والتراب فى عناصره من موصل وعازل ، وهو يتدخل بعنصره الأول فى نشأة الإنسان العضوية،والوقت مناط يبرز فى جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين : الإنسان والتراب(٣)

فإن كانت الحضارة ناتج لاجتماع هذه العناصر الثلاثة فلماذا لا يوجد هذا الناتج تلقائيا بمجرد توفر هذه العناصر؟

يجيب ابن نبي بمثال يشبه بالتركيب الكيميائي : "فالماء فى الحقيقة نتاج للهيدروجين والأوكسجين وبرغم هذا فهما لا يكونانه تلقائياً ، فقد قالوا إن تركيبه يخضع لقانون معين يقتضي تدخل مركب ما بدونه لا تتم عملية تكوين الماء ، وبالمثل فإن هناك ما يطلق عليه مركب الحضارة ، أي العامل الذي يؤثر فى مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض ، وهو الفـــكرة

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٥٤

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٢

الدينية التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ(١) هكذا يعد الدين العامل الذي تقوم عليه الحضارة ، وتتحلل كلما ضعفت فاعليته:" فتطور الإنسانية هو ما يحدث من نمو في مشاعرها الدينية المسجلة في واقع الأحداث الاجتماعية ، تلك التي تطبع حياة الإنسان وعمله على وجه البسيطة"(٢)

وأول عمل يؤديه المجتمع عند ولادته هو بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ، ويضرب لذلك مثلاً بميلاد المجتمع الإسلامي في المدينة حيث آخى النبي(صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار ، وعلى العكس من ذلك عند أفول المجتمع تتمزق شبكة علاقاته الاجتماعية، كما كانت حالة المجتمع الإسلامي المتفسخ الذي غزاه الاستعمار(٣)

ويتراوح المجتمع ـ فيما يري ابن نبي ـ في علاقاته الاجتماعية بين حدين:

الحد الأول يكون في ذروة نموه ويكون كل فرد عنده مرتبطا بمجموع أعضائه ، أما الحد الثاني فهو حالة المجتمع المتفسخ الذي تحول إلى أفراد لا رابط بينهم ، والمجتمع في حالة انحطاطه هو مجتمع مريض تضخمت ذوات أفراده ، وما يميز هذه المرحلة هو أن الأفراد وبسبب تضخم ذواتهم وانحلال الروح الجماعية فيهم يدور النقاش بينهم فيحاول كل منهم في النقاش لا أن يصل إلى حلول للمشاكل ولكن أن يجد أدلة وبراهين على ما يريده هو(٤)

ومالك بنـنبي وا ِن كان قليل التركيز على مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية فإن هذا لا يعني أنه غير مهتم بها ، بالعكس فهو أولا يرى أنه لا يمكن أن تقوم حضارة بغير الدين ، كما أنه ثانيايعارض الأوضاع الاجتماعية التي لا تتناسب مع الشريعة الإسلامية وا ِن كنا نرى أنه لا يرى أن نصوص الفقه الإسلامي تكفي وحدها لبناء الحضارة المطلوبة ؛ لأن الحضارة لها سنن علمية مثل سنن الطبيعة ، على المسلم أن يبحثها ولا يتوقع أن يجدها جاهزة في نصوص الشريعة وا ِن كان بالتأكيد يجد كثيراً من التوجيهات العامة في هذه النصوص كما رأينا في استشهاده بالآية عن التغيير﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾(٥)

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٥٤

(٣) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص ٥٦

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١

(٤) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص٢١

(٥) سورة الرعد ، آية : ١١

معني هذا أن الدين عند مالك بن نبي هو أساس النهضة ، لهذا فقد وجه نقده إلى بعض المستشرقين الذين يعتقدون أن الإسلام هو العامل المسبب لانحطاط المجتمعات الإسلامية(١) على سبيل المثال المستشرق الفرنسي "رينان"، كان قد أدعي فى محاضرة له ألقاها فى السربون عام ١٨٨٣م ، أن الإسلام والعلم لا يتفقان ، مما يستوجب القول أن الإســـــــــلام والمدنية لا يتفقان(٢)

أما هو فكان يؤمن إيمانا عميقا بان الإسلام هو عامل نهضة وأن الابتعاد عنه هو السبب الحقيقي في الانحطاط ، ومن هنا فإن التحلل من واجبات الدين لا ينتج شرطا من شروط النهضة بل على العكس: "فإن هذا البناء لا يمكن أن تقوم قائمته دون أسس أخلاقية"(٣) وهذا ما يتفق مع تعريفه للحضارة بأنها: "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد في كل طور من أطوار حياته المساعدة الضرورية"(٤)

لقد انطلق من فكرة محورية هي أن أي نهضة مجتمع تتم في نفس الظروف التي شهدت ميلاده ، وعلى هذا فإن إعادة بناء المجتمع المسلم الحديث لا بد أن تنطلق من الفكرة الدينية كأساس لأي تغيير اجتماعي ، ورأى أن الحضارة نتاج بشري وأن التخلف الذي يعيشه المسلمون ينبع في الأساس من داخلهم، ويعود إلى طبيعة تشكيل عقليتهم وشخصيتهم التي ترسبت فيها مفردات الثقافة السلبية ، وفرق بين المجتمع الفعال والمجتمع غير الفعال ، فاعتبر أن فاعلية المجتمع تنطلق من فاعلية الإنسان لهذا كان يقول: "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وا ٍذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"(٥)

وشرط الفاعلية الأساسي عنده أن ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه صانع التاريخ ومحركه ، فالتاريخ نتائج عملية ، وليس مقولات نظرية ، ومشكلة المسلم أنه لا يفكر ليعمل بل يفكر ليقول ويتكلم ، وقد أدى ذلك إلى ضياع الاستفادة من المال والوقت والعلم.

---

(١) صلاح زكي أحمد : قادة الفكر العربي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولي ،١٩٩٣م ، ص٩٩

(٢) المرجع نفسه ، ص٩٩-١٠٠.

(٣) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص٩٨

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٥٤

(٥) مالك بن نبي : تأملات ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، توزيع دار الفكر بدمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م ، ص٣٠.

ثالثا: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

الحضارة Civlisation يعرفها البعض بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية(١)

والتفرقة بين المادي والمعنوي تزول لمصلحة هذا المفهوم الأوسع للحضارة وتتحدد الحضارة عندئذ على أنها حركة المجتمع ككل وهي تشمل الآراء والأعراف التي تنتج عن تفاعل الحرف والصناعة مع المعتقدات والآثار الجميلة والعلوم (٢)

وا ذا كانت أكثر تعريفات الحضارة تشير إلى أنها انتقال من الحالة البربرية للإنسان إلى حالة أكثر رقيا وتقدما ، كما أنها انتقال من البداوة إلى التحضر ومن القرية إلى المدينة ، إلا أن هذه التعريفات تقابل مرحلة من مراحل الحضارة ، ولا تتناول الحضارة ككل باعتبارها مجموع الإنجازات والمكتسبات الإنسانية منذ كان الإنسان وحتى اليوم .

ولهذا يري ابن نبي أن "مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"(٣) وانطلاقا من هذا الاعتقاد الراسخ بأهمية الحضارة وضرورة فقه حركتها منذ انطلاقتها الأولى إلى أفولها يحاول مالك بن نبي إعطاء تعريف واسع للحضارة ، يتحدد عنده في ضرورة "توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"(٤) لذا فإن كل ما يوفـــــــره المجتمع لأبنائه من وسائل تثقيفية وضمانات أمنية ، وحقوق ضرورية تمثل جميعـــها أشكالا

---

(١) د. حسين مؤنس : الحضارة دراسة فى أصولها وعوامل قيامها وتطورها ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٢٣٧،لسنة ١٩٩٨م ، ص١٥

(٢) د. معن زيادة : مادة حضارة ،الموسوعة الفلسفية العربية ،معهد الإنماء العربي ،الطبعة الأولي ، ١٩٨٦م ، ص٣٧٤

(٣) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٩

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٠

مختلفة للمساعدة التي يريد المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه(١)

أي أن مفهوم الحضارة عند مفكرنا شديد الارتباط بحركة المجتمع وفاعلية أبنائه ؛ سواء في صعوده في مدارج الرقي والازدهار ، أو في انحطاطه وتخلفه ، وبالتالي فلا بد من فهم عميق لكل من يريد دراسة المجتمعات دراسة واعية وشاملة ؛ لأن حركة المجتمعات الحضارية ظاهرة تخضع كغيرها من الظواهر الإنسانية لسنن وقوانين اجتماعية وتاريخية ثابتة لابد من الاحاطة بها لكل من يريد أن يعيد لأمته مجدها الحضاري ، وهذا ما أكده بقوله: "إن أول ما يجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكر في عناصرها ، تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه ، فهو يحلل الماء تحليلا علميا ، ويجد أنه يتكون من عنصرين (الهيدروجين والأكسجين) ثم بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركب به هذان العنصران ليعطينا الماء ، والعناصر الضرورية التي تتشكل منها كل الحضارات ثلاثة هي: الإنسان و التراب و الوقت(٢)

ولهذا فالحضارة لا يمكن استيرادها من بلد إلى آخر رغم استيراد كل منتجاتها ومصنوعاتها ؛ لأن الحضارة إبداع وليست تقليد أو استسلام كما يظن الذين يكتفون باستيراد الأشياء التي أنتجتها حضارات أخرى:"فبعض القيم لا تباع ولا تشترى ، ولا تكون في حوزة من يتمتع بها كثمرة جهد متواصل أو هبة تهبها السماء، كما يهب الخلد للأرواح الطـــــــاهرة ، ويضع الخير في قلوب الأبرار[٣]

فالحضارة من بين هذه القيم التي لا تباع ولا تشترى ولا يمكن لأحد من باعة المخلفات أن يبيع لنا منها مثقالاً واحداً (٤)

وعملية استيراد أشياء الغرب ومنتجاته والاكتفاء بذلك سبيلا للتقدم أشبه بالذي يحاول أن يعالج أعراض المرض ونتائجه البارزة الظاهرة للعيان،بدل أن يعالج أسبابه العميقة(٥)

---

(١) مالك بن نبي : آفاق جزائرية ، ص٣٨، أيضاً : توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولـــــى ١٩٨٨م ، ص٢٩.

(٢) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٦٨

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٥١

(٥) مالك بن نبي : في مهب المعركة ، ص١١٧

وإذا بقي المجتمع الإسلامي عاجزا عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسجم مع عقيدته وواقعه ، فهذا يعني أنه ما زال يعاني من التبعية والتخلف ، وهذا هو الخطر على حاضر ومستقبل المسلمين في نظر ابن نبي "لأن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره لا يمكن بأية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج ، فعلينا أن نكتسب خبرتنا ، علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية ، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي"[١] ولهذا نتناول فيما يلي علاقة الحضارة بالأفكار والأشياء.

(١) الحضارة بين الأفكار والأشياء

يرى مفكرنا أن عالم الفرد يتألف من ثلاثة مركبات: أشياء و أشخاص وأفكار ، والفرد يمر في طفولته بمراحل ثلاث متلاحقة يتعرف فيها أولاً على الأشياء ثم يتعرف بعدها على الأشخاص ثم يتعرف أخيرا على الأفكار، وكذلك يمر المجتمع في تطوره الحضاري بهذه المراحل ، وحين يشيخ الفرد ينكص وعيه فيعود بعكس الطريق الذي سلكه أولا ، وكذلك تفعل الحضارة حين تشيخ.

وقد يستعمل مفكرنا الأفكار بمعنى الحقائق ، ولا سيما الحقائق الكبرى ذات الطابع الكوني الشامل ، وهذا واضح حينما يتحدث مثلا عن طريقتين مختلفتين تميزان الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية: "إما أن ينظر الإنسان حول قدميه أي نحو الأرض وإما أن يرفع بصره نحو السماء ، والطريقة الأولى تؤدي إلى شغل فراغ الإنسان بأشياء ، أي أن نظرته المتسلطة تريد أن تستحوذ على أشياء ، بينما الثانية تؤدي إلى شغل هذا الفراغ بالأفكار ، أي أن نظرته المستفسرة ستكون في بحث دائب عن الحقيقة"(٢)

ولكن مصطلح الأفكار يعني عنده غالبا خبرة على شكل بنية جماعية عقلية ونفسية تجعل المجتمع يبني الهيكل المادي للحضارة ويعيد بناءه بسرعة ، حتى لو تعرضت للتدمير بفعل

---

(١) عمر كامل مسقاوي : في تقديمه لكتاب مالك بن نبي حديث في البناء الجديد ، ص١٢

(٢) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، مكتبة عمار القاهرة ،١٩٧١م ، ص١٣.

كارثة كالحرب مثلاً ، ومثاله المفضل هو المجتمعان الياباني والألماني اللذان كانا بعد الحرب العالمية في حالة عوز هائل في الأشياء ، ولكنهما كانا غنيين بالأفكار، مما مكنهما من إعادة بناء الهيكل المادي لهما بسرعة قياسية(١)

لذا فهو يؤكد في الكثير من كتبه على أن جوهر البناء الحضاري ينطلق من الفكر ، وأن الحضارة هي التي تلد منتجاتها ، ولا يمكن بناء حضارة بشراء منتجات حضارة أخرى(٢)

وقيمة كل أمة لا تتجسد فيما تملكه من أشياء ولكن فيما تملكه من أفكار ،وا ٍذا طبقنا هذا على المجتمع الإسلامي، قلنا إنه: "مجتمع يفتقد للأفكار، فهو أعزل من حيث المفاهيم ، لا لعدم وجود الأفكار والمفاهيم ، ولكن لأنه مجتمع يحارب بالأسلحة وليس بالأفكار ، وعند البحث في عوامل البناء الحضاري يجب أن نقف عند محطة الأفكار لا الأشياء ، بمعنى البناء الحضاري وليس التشييد المادي"(٣)

لأن اليابان مثلا قد تمثلت أفكار الحضارة الغربية في وقت بقي المجتمع الإسلامي يغرق في شراء الأشياء "فإن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه ، لا يعبر عنها بمجموعـــــة الأشياء في هذا المجتمع ، ولكن بمجموعة أفكاره" (٤)

لهذا يسعى أبناء الحضارة الغربية لبيع أشيائهم ـ منتجاتهم الحضارية ـ للعالم الثالث ،في نفس الوقت الذي يسعون فيه إلى احتكار الأفكار التى تقف عند هذه الأشياء، ثم إن اليابان كان ذكيا في تعامله مع الغرب ؛ لأنه وقف منه موقف التلميذ، بينما وقفنا نحن موقف الزبون :"إنه استورد منها الأفكار ، ونحن إستوردنا منها الأشياء ، إنه كان ينشئ حضارة وكنا نشتري بضاعة حضارة(٥) وقع ذلك لأن جوهر عملية البناء الحضاري لا تتم إلا عندما يعطي المجتمع أهمية كبيرة لعالم الأفكار على حساب عالم الأشياء ، بمعنى تقديم الدوافع التي تحرك المنتجات المادية(٦)

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص١٥

(٢) مالك بن نبي : تأملات ، ص٣٠

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٠

(٤) المصدر نفسه ، ص٣١

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٢

(٦) المصدر نفسه ، ص٣١

ولحل مشكلة الحضارة ، يستوجب عند مفكرنا حل ثلاث مشكلات جزئية هي:

١ـ مشكلة الإنسان.

٢ـ مشكلة التراب .

٣ـ مشكلة الوقت .

وحل تلك المشكلات لا يتحقق إلا إذا آمنا بأن القضية: "ليست قضية أدوات ولا إمكانيات ، ولكن القضية في أنفسنا"(٤)

(٢) الحضارة بين الثقافـــة والجمـــــال

لاشك أن الإطار الحضاري للأمة يرتبط بالجمال ،"بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أي حضارة"(٥)

وا ذا كان المجتمع ينظر إلى الإنسان الذي يتوفى على أنه قد مات موتا ماديا، فكذلك الأمر إذا فقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتا ثقافيا معنويا ،ولكن تبقى القيمة الثقافية لكل فكرة(٦)وا ذا أردنا البحث في مشكلة الثقافة فإننا نجد أنفسا "تواجه مشكلة أسلوب الحياة ومشكلة السلوك الذي ينسجم معها ، فعلى المجتمعات التي تبغي النهوض أن تطهر عاداتها وتقاليدها وا طارها الثقافي بصفة عامة مما يسمي بالعوامل القتالة ، لكي تفسح المجال للعوامل الحية والداعية إلى الحياة(٤)

---

(١) مالك بن نبي : تأملات ، ص٣٠

(٢) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص١١

(٣) المصدر نفسه ، ص٦٠

(٤) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص٦٠ ، وتنبغي الإشارة إلى أن مصطلح الثقافة يتراوح مدلوله بين اتجاهين متفاوتين : أول هذين الاتجاهين نظري ، ويحصر مفهوم الثقافة فى الإنتاج الأدبي والفكري والفني واللغوي ، ومن هنا أتت كلمة مثقف ، بمعني الإنسان المطلع إلى عالم الفكر والأدب واللغة ، وثاني هذين الاتجاهين الواعي المنتمي يقابل هذا التطبيق بتوسيع مفرط لمدلول المصطلح حتى تكاد كلمة الثقافة culture ترادف الحضارة civilzation ، وبالتالي فالثقافة هي كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من العادات التي يكتسبها الإنسان ، وفى المعجم الوسيط: "هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها " المعجم الوسيط ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٩٧٢م ، جـ١، ص٩٨، أما الموسوعة الفلسفية فهي تميل إلى التحديد الذي ميزته اللغة العربية ،وتشير إلى أن اللغة العربية تميز بوضوح بين الحضار ة وهي الكلمة التى تدل على مجموعة المنجزات الاجتماعية ، والثقافة هي الكلمة =

ورغم كثرة التعريفات التي وضعها ابن نبي للثقافة في كتابه مشكلة الثقافة إلا أنها تدور كلها فى فلك واحد هو:

١- الثقافة مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة.

٢- الثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر.

٣- الثقافة هي الجسر الذي يعبره الناس إلى الرقي و التمدن.

وهكذا يتضح أن مجال ثقافة ما يحيل إلى الإطار الذي تنمو فيه حضارة تلك الثقافة، لكن تبقى الفاعلية أهم شيء كما يقول ابن نبي:" إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة،ولكن منطق العمل والحركة، وهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجردا(١)

(٣) الحضارة وعلاقتها بالعامل الاقتصادي

كذلك ربط مالك بن نبي الاقتصاد بالثقافة و الأفكار ، و أيضا الإنسان ؛ لأن القضية الاقتصادية ليست في الأدوات والإمكانيات ، و لكنها في النفس البشرية ، لذا فهو يري:"أن حل المشكلة الاقتصادية ينحصر في تكوين وعي اقتصادي بكل ما يستتبعه في التكوين الشخصي للفرد وفي عاداته وفي نسق نشاطاته(٢) لهذا فمشكلة المجتمع تعود إلى أزمته الثقافية ، كما أن سلبية الثقافة تعود إلى عدم فاعليتها.

ويذكرنا بأمر هام وهو أن النمو الاقتصادي يتوقف على الأمن الاجتماعي فهو:"لا يتصور في الواقع أن نواجه مشكلة اقتصاد موحد في منطقة لم يزل عنها خطر الحرب نهائياً ،فإن المرء لا ينشئ شركة مالية مع رفيق لن يسير معه إلا جزء من الطريق"(٣)

= التى تحمل مضمونا تقريظيا لحالة التقدم العقلي وحده ، د. رشيد مسعود : مادة ثقافة ، الموسوعة الفلسفية ، معهد العربي ، ص٣١٠

(١) المصدر نفسه ، ص٦١

(٢) مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر بدمشق، ١٩٧٩م ، ص٢١

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٣

فغياب الأمن يفسر غياب الاستثمار ، وما يحدث من تغير على المستوى الاقتصادي ، هو تغير على المستوى الحضاري ، كما أن البحث في الاقتصاد يقتضي بالضرورة البحث في الإنسان ؛ لأن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك و تشييد مصانع فحسب ، بل هو قبل ذلك تشييدالإنسان وا ٍنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات"(١)

رابعا: شروط النهضـــــــــــــة

لقد ظل العالم العربي خارج التاريخ دهرا طويلا كأن لم يكن له هدف ، فهو كالمريض الذي استسلم للمرض ، حتى كأن المرض صار يؤلف جزءا من كيانه ، ولكن قبل ميلاد القرن العشرين سمع من يذكره بمرضه ، فلم يلبث أن خرج من سباته العميق وبهذه الصحوة تبدأ بالنسبة للعالم الإسلامي والعربي حقبة تاريخية جديدة يطلق عليها النهضة.

ولكن ما مدلول هذه الصحـــــــــــوة ؟

لقد ذهب مفكرنا إلى أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه فرأى جمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية ويجب أن تحل بوسائل سياسية ، بينما قد رأى الشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ، على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه ، وقد نتج عن هذا أنهم منذ مئة عام لا يعالجون المرض وا ٍنما يعالجون الأعراض(٢)

بينما يري هو أنه لا يوجد سوى طريقتين لوضع نهاية لهذه الحالة المرضية ، فإما بالقضاء على المرض وا ٍما بإعدام المريض ، كما أن مشكلة النهضة تنحل إلى ثلاث قضايا أولية هي : مشكلة الإنسان ، ومشكلة التراب ومشكلة الوقت ، ولكي نقيم بناء نهضة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات وا ٍنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها(٣)

---

(١) مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر بدمشق، ١٩٧٩م ، ص٢١

(٢) مالك بن نبي : شروط النهضة ،ص١٦

(٣) مالك بن نبي : تأملات ، ص ١٦٨

أ- مشـــكلة الإنســـــــان

تبدأ عملية التطور من الإنسان لأنه المخلوق الوحيد القادر على قيادة حركة البناء ، تمهيداً لظهور الحضارة ، ولكي يتحقق التغير في محيطنا يجب أن يتحقق أولاً في أنفسنا ، فالتغيير يقتضي تغيير ما في النفوس أولاً لقوله تعالى:﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(١)

لهذا يعتبر ابن نبي أن الإنسان هو محور الفاعلية في حركة الحضارة :"فهو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة، لأن التراب والوقت لا يقومان بأي تحويل اجتماعي"(٢) أما الإنسان فهو الشرط الأساسي لكل حضارة ، والحضارة تؤكد دائماً الشرط الإنساني"(٣)

القضية إذن ليست قضية أدوات ولا إمكانيات ، بل القضية في أنفسنا ، فعلينا أولا دراسة الإنسان ، وما هذه المظاهر الاجتماعية غير تعبير عن حركة الإنسان وركوده(٤)

من هنا تظهر أزمة العالم الإسلامي، فهي مشكلة الإنسان الذي عزف عن الحركة(٥) فالإنسان هو الهدف وهو نقطة البدء في التغيير والبناء ، ومهما جرت محاولات تحديثيه بواسطة الاستعارة ، أو الشراء للمصنوعات ومنتجات التقنية، فإن هذه المحاولات ستكون عقيمة طالما أنها لم تبدأ من حيث يجب، فالحل الوحيد مرتبط بتكوين الفرد(٦)

ولهذا يعطي ابن نبي أهمية كبيرة للعلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية ، فهي تمثل خطرا في مجتمع مازال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم ، ومعرفة الإنسان واعداده أشق كثيرا من صنع محرك أو تقنية متطورة(٧)

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١١

(٢) مالك بن نبي : فكرة كومنولث إسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص٧٥ .

(٣) مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠م ، ص١٩٨.

(٤) مالك بن نبي : تأملات ، ص٣٠

(٥) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٨٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص٨٣

(٧) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٢٥

لذا يري أن الإنسان لايمكن تغييره إلا إذا هيأنا له مناخا تربويا متحررا من النفوذ الاستعماري وجوا ثقافيا أصيلا(١) وبذلك تقوم النهضة العلمية في المجتمع.

ب ـ مشكلة التـــــــراب

وهو العنصر الثاني الذي يشكل الحضارة مع الإنسان والوقت في فكر مالك بن نبي ، وحينما يتكلم عن التراب لا يبحث في خصائصه وطبيعته ، ولكن يتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية ، وهذه القيمة مستمدة من قيمة مالكيه ، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة ، وحضارتها متقدمة ، يكون التراب غالي القيمة ، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط (٢)

ج ـ مشكلة الوقـــت

الوقت هو العنصر الثالث في تكوين الحضارة ، فحينما لا يكون الوقت من أجل الإثراء أو تحصيل النعم ، أي حينما يكون ضروريا للمحافظة على البقاء ، أو لتحقيق الخلود والانتصار على الأخطار ، حينئذ يتحدث الناس عن ساعات العمل ، فهي العملة الوحيدة التي لا تبطل ، ولا تسترد إذا ضاعت ، ونحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق ، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا(٣)

من خلال إنسان يستطيع استغلال الوقت على أكمل وجه ، حينئذ نستطيع أن نقول أننا بدأنا نهضة علمية حقيقية.

خامسا : الحضارة والقابلية للاستعمار

القابلية للاستعمار هو مفهوم من أشهر مفاهيم مالك بن نبي ، حيث يستعمله لوصف مجتمع ما بعد الحضارة ، أي الوضع المنهار للحضارة في نهاية دورة حضارية وقبل بدء دورة حضارية جديدة ، إنه وضع المجتمع الإسلامي الآن ، كما استعمله في وصف حالة الجزائر التي كان الاستعمار حين دخلها يعرف القيمة الطبيعية الكامنة في أفراد شعبها : " فمـــنذ ذلك

---

(١) مالك بن نبي : تأملات ، ص ١٢٦

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٦

(٣) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٤٧

الحين بدأ الحط من قيمة الأهالي ينفذ ، كأنه معامل جبري وضع أمام قيمة كل فرد ، بقصد التنقيص من قيمته الإيجابية(١)

فهو يؤثر في الفرد ويبخس من قيمته الإنسانية والاجتماعية ، ولكن بالمقابل ثمة معامل آخر يؤثر فيه ، وهو داخلي هذه المرة وليس مفروضاً عليه من الخارج شأن المعامل الأول ، حيث يجعل من الفرد يقبل الوضع الاستعماري ويسير في الحدود التي رسمها له الاستعمار(٢)

فالقابلية للاستعمار تسكن نفوس أبناء المجتمع ، وتدفعهم إلى تمثل أشياء الغرب وأفكاره دون أي دراسة دقيقة وواعية بالتمايز الحضاري الشاسع الموجود بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية[٣] إذاً العامل الذاتي هو الحاسم دائما مهما كانت قوة العوامل الخارجية ، فالاستعمار يجد مكانا وانتشارا ورسوخا أكثر من الضعف الداخلي ، وهذا ما نشهده الآن فى تلاقي المسلمين مع نتائج وآثار العولمة(٤)

فالمسلمون حين يخشون من اختراق الاستعمار لهويتهم لن يكون الاختراق بسبب قوة الاستعمار الكاسحة ، بل إلى ضعف فى هوية المسلمين(٥) ولذلك ظل الفكر الإسلامي لفترة طويلة فى مرحلة الرد على اتهامات الغرب له ، ومحاولة إظهار الصورة الإيجابية(٦)

ومن هذه المحاولات محاولة مالك بن نبي ، فلقد ذهب إلى أن الكتاب الذين يهدفون إلى تشييد البناء الحضاري للأمة الإسلامية يلجئون إلى تكديس المعارف و هذا التكديس لا يؤدي إلى إنشاء حضارة ؛ لأن "البناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ، إن علينا أن ندرك أن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا تأتي بالحضارة ،فالحضارة هي التي تكّون منتجاتها ، وليست المنتجات هي التي تكّون حضارة"(٧)

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٤٧

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٦

(٣) مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ص٤٨

(٤) د.حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، عدد١٩٩٩م ، ص١١٤

(٥) هشام جعيط : أوربا والإسلام ، صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص٩٢

(٦) منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ،دار البراق ، تونس ،١٩٨٩م ، ص٤٠

(٧) مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ص٤٨

ففكر هؤلاء يعد أحد التحديات التي تقف أمام بناء المجتمعات ؛ لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها ، وتجعله إنساناً مستهلكا غير منتج ، ينتظر ما يجود به الغرب من سلع جاهزة الصنع ، بل تجعله يتباهى بما لا ينتجه(١)

فهؤلاء لا ينظرون إلى الحضارة الغربيـــة إلا من خلال قشورها ، ولا ينقلون منها إلا ما يسميه مفكرنا بالأفكار الميتة التي ترمي بها إليهم هذه الحضارة عن طريق مراصدها الفكرية حتى يظلوا تابعين لا مبدعين ، منفعلين لا فاعلين ،وهذا عكس ما فعلته النُخبة المثقفة في اليابان التي استطاعت في تعاملها مع الغرب أن تفرق بين ما هو صالح للاقتباس ، وما هو طالح وخاص بالقيم والأخلاق الغربية التي تتعارض مع قيم الإنسان الياباني وأخلاقياته[٢]

أما المجتمع الإسلامي فهو اليوم في مرحلة ما قبل التحضر من جديد ، فلقد بذل جهودا كبيرة خلال ما يقرب من قرن لكي تدب فيه الحركة ، ولكن إقلاعه يبدو ثقيلا وبطيئا إذا ما قورن ببعض المجتمعات المعاصرة مثل اليابان أو الصين الشعبية التي كانت متأخرة عنه بكثير(٣)

والمدافعون عن الاستعمار يرجعون إلى الإسلام سبب تأخير الإقلاع ، وأما حاملوا لواء النظرية القومية فيعزونه إلى الاستعمار ، وفي كلتا النظريتين خطأ جسيم ، فالفريق الأول عندما يحمل الإسلام مسؤولية كل هذه الأوضاع يتجاهل حقيقة صارخة وهي أن الاستعمار مسئول عن النصيب الأكبر من الفوضى التي تسود العالم الإسلامي اليوم ، أما الفريق الثاني فعندما يلقي اللوم كله على الاستعمار يحاول أن يخفي سياسة التملق التي يتبعها مع شعوبه(٤)

---

(١) مسعود ضاهر : الثقافة العربية فى مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة ، الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، عدد ١٩٩٣م ، ص٣٦.

(٢) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٦٧

(٣) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامي ، دار الفكر، دمشق،الطبعة الأولي ، ١٩٨٨م ، ص٩٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص٩٨

ويري مالك بن نبي أن:"الاستعمار لا يمانع في تمحور سياستنا حول مبدأ مطالبته بإعطائنا حقوقنا دون أن نفعل نحن شيئا لتغيير وضعنا الاجتماعي وقيامنا بالنهضة المطلوبة(١) حتى أننا أخذنا نردد عبارة "إننا نطالب بحقوقنا تلك الحقوق الخلابة المغرية التي يستسهلها الناس فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب"(٢)

ومن هنا فإن مجتمعنا بحاجة إلى ثورة نهضوية سلمية داخلية تأتي من أسفل لا من أعلى ، وهذا معنى الحديث الشريف"كما تكونوا يولى عليكم" ومعنى الآية: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٣)

إذن لا ننتظر التغيير من قوة خارجة عنا ، شخص أو دولة ، تحل المشاكل في طرفة عين ، فلاشك أن هناك فى عقائدنا السياسية قيم فاسدة للحضارة ، تلك العقائد التي تمثلت عندنا اليوم في أسطورة الشيء الوحيد والرجل الوحيد الذي ينقذنا ، فالتاجر الذي تنجح تجارته يجزم بلا تردد بأن النجاة في الاقتصاد ، وآخرون يرون الشيء الوحيد في البيان وتزويق الكلام ، وهكذا ننتقل من وهم لنتخبط في وهم ، ولا ندري كم من السنين سوف نقضيها لندرك عجز الأشياء الوحيدة عن حل المشكلة التي هي مشكلة الحضارة أولاً و قبل كل شيء"(٤)

وا ٍذا كان مالك بن نبي قد عني بالبحث في جذور البناء الحضاري ، فإنه قد بحث في الثورةو الأسس التي تنطلق منها(٥) لأن الثورة عنده: "ليست كإحدى الحروب تدور ريحها مع العدد والعتاد ، بل إنها تعتمد على الروح والعقيدة(٦)

وا ٍذا كان البناء الحضاري لا يقوم على الوسائل المادية فقط وا ٍنما يقوم على الأفكار أيضا ، فإن غاية أية ثورة هي تغيير الإنسان، فالثورة "لا تستطيع الوصول إلى أهدافها ، إذ لم تغير

---

(١) مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ص١٣٠

(٢) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٣٤

(٣) سورة الرعد ، آية :١١

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص ١٥٨

(٥) حسين توفيق إبراهيم : التطور الديموقراطي في الوطن العربي ، مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٤٢، السنة الثالثة ، أكتوبر ، ٢٠٠٠م ، ص٤٠

(٦) مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ص١٤

الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته ، ولكن ماذا يجب أن يتوفر لهذه الثورة كي تضمن نتائجها وتحفظها من التراجع والموت البطيء؟ الأكيد أنه على الثورة عدم التنازل عن المبادئ التي قامت عليها لأجل تحقيق مطامع مادية(١)

فإن لكل ثورة ما بعدها ، فإما أن يكون مواصلة للثورة وإما أن يكون في اتجاه معاكس يتنكر لها و يمسخها ، وصراع صحاب المصالح بعد كل ثورة ما هو إلا دليل ضعف وهشاشة المبادئ ، إضافة إلى تجاهل للتضحيات ، وتنكر للزملاء الذين سقطوا في ميدان الشرف ، دفاعاً عن أخلاقيات هذه الثورة ، وهذا يؤدي إلى فقدان الروح الثورية، وإذا فرضنا أن الثورة تمكنت من تحقيق هدفها الأول ، أي الاستقلال السياسي، فإن هذا الاستقلال يبقى ناقصاً ، إذا لم يتحقق الهدف الجوهري للثورة وهو تغيير الإنسان(٢)

سادسا : كيف يمكن إزالة القابلية للاستعمار؟

يتحدث هنا مالك بن نبي عن قضايا أربعة هي:

١ـ الفعالية

٢ـ والمعادلة البيولوجية والاجتماعية للفرد

٣ـ والمنطق العملي

٤ـ والتوجيه.

(أ) فالفعاليـــة كما يقول مالك ابن نبي تكون بمثابة :"إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ ، ذلك ما تشير إليه النظرة فى تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط وتزدهر فيه الحضارة وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات ، ففي حركة التاريخ حركة الإنسان وفى ركوده ركوده"(٣)

فشرط الفعالية هو أن ينظر الإنسان لنفسه كصانع للتاريخ ومحرك له وفقاً للوظيفة الاجتماعية التي حددها لنا القرآن في قوله تعالى:﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾(٤)

---

(١) مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ص١٥

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤

(٣) مالك بن بني : تأملات ، ص٣٠

(٤) سورة أل عمران : آية ،١١٠

والفعالية مرتبطة بالإرادة ، فالطفل الذي يقود الجمل هو فاعل لأنه يملك الإرادة ، بينما ينقاد الجمل لأنه يفتقد لهذه الإرادة(١)

(ب) أما عن المعادلة البيولوجيـة والاجتماعيـة

فيري مالك بن نبي أن هناك لكل إنسان معادلتان: معادلة بيولوجية يتساوى فيها البشر ولا اختلاف فيها بين المجتمعات ، ومعادلة اجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وفي المجتمع نفسه تختلف من عصر إلى آخر ، أما المعادلة البيولوجية فهي منحة الله لجميع الناس ، أما المعادلة الاجتماعية فهي نتاج المجتمع وهي القاسم المشترك الذي يطبع سلوكهم ويحدد درجة فعاليتهم أمام المشكلات بما يميزهم عن أفراد مجتمع آخر أو عن جيل آخر من مجتمعهم ، لكن كيف تتكون المعادلة الاجتماعية؟

إنها إما أن تتكون بطريقة تلقائية وإما أن تتكون بعمل إرادي:"تريد ما تفعل وتفعل ما تريد لمواجهة ظروف وضرورات قاسية ، والمجتمع الإسلامي بدوره يجب عليه أن يختار ، إما أن يسير في طريق طويل تاركاً للأيام صياغة معادلته الاجتماعية عبر التجارب والمحن وإما أن يطرح المشكلة بصورة منهجية كما فعلت اليابان والصين(٢)

نود أن نشير إلى أن مفكرنا قد أشاد كثيرا بالتجربة اليابانية فى التقدم ؛ فقد كانت انطلاقة اليابان معاصرة لانطلاقة المجتمع الإسلامي : "فالمجتمعان قد تتلمذا سوياً في مدرسة الحضارة الغربية،واليوم هاهي اليابان القوة الاقتصادية الثالثة في العالم ، فالأفكار الميتة في الغرب لم تصرفها عن طريقها ؛ فقد بقيت وفية لثقافتها ولتقاليدها ولماضيها"(٣)

أما المجتمع الإسلامي فما زال مجتمعا متخلفا ؛ لأنه مجتمع لم يتعامل مع الحضارة الغربية تعاملا علميا ونقديا ، لذا فإنه: "من الواضح أن المشكلة التي تطرح نفسها لا تتعلق بطبيعة الثقافة الغربية ، بل بالطبيعة الخاصة بعلاقتنا بها ، فالطالب المسلم الذي يلتحق بمدرستها هو بين نموذجين: الطالب المجتهد ، والطالب السائح ، وكلا الطالبين لا يذهبان إلى منابع الحضارة ، بل إلى حيث تتفطر فيها أو تلقي فيها نفاياتها"(٤)

---

(١) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٢٦

(٢) مالك بن بني : المسلم فى عالم الاقتصاد ، ص٩٨

(٣) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٦٧

(٤) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص١٥٦

فالفرق شاسع إذن بين تعامل المسلمين مع الغرب وتعامل الإنسان الياباني معه ؛ حيث إن هذا الأخير ترك القشور واهتم بالجوهر فتمكن من استيعاب العلوم الغربية التي تمثل سر تقدمها دون أن يؤدي به ذلك إلى فقدان هويته: "فإذا كان اليابان قد بنى مجتمعاً متحضرا فهو قد أدخل الأشياء من أبوابها ، درس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته ، وليس بالنسبة لشهواته ، فلم يصبح من زبائن الحضارة الغربية يدفع لها أمواله وأخلاقه ، أما نحن فقد أخذنا منها كل رذيلة ،وأحياناً نأخذ منها بعض الأشياء الطيبة التي قدرها الله لنا"(١)

ويفضل مالك بن نبي الطريقة اليابانية لأن مجتمعنا كما يقول: "يواجه حالة طوارئ تفرض عليه أن يتخذ قرارات صارمة بالمجال الاقتصادي ، كما تتخذ قيادة عسكرية قراراتها لمواجهة ظروف استثنائية"(٢) لهذا انتقد مالك بن نبي النخبة المغتربة التي لا تفرق في اقتباسها لأفكار ومناهج الحضارة الغربية ، بين ما هو صالح للاقتباس وما هو خاص بحضارة معينة(٣)

(ج)أما عن المعادلة الثالثة فهي المنطق العملي

وتتمثل في:"إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللا فاعلية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة ،وإذا ما أردنا حصر لهذه القضية فإننا نرى سببها في افتقادنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه ، بين سياسة ووسائلها ، بين ثقافة ومثلها ، بين فكره وتحقيقه ، فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا(٤)

فنحن نفتقد إلى المنطق العملي في حياتنا وهو استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة، فالمسلم لا يحسن الاستفادة من الوقت ولا من العلم أو المال.

(د) أما عن المعادلة الرابعة لتحقيق فعالية النهضة فهي فكرة التوجيه

التوجيه عند مالك بن نبي هو" قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف ،

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص١٥٦

(٢) مالك بن بني : المسلم في عالم الاقتصاد ، ص٩٨

(٣) مالك بن نبي : تأملات ، ص١٦٤

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٩٦

وهو إدارة ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في أحسن الظروف الزمنية والإنتاجيـــــــة المناسبة ، وفي هذا تكمن أساسا فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية ، وبلغة الاجتماع الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح(١)

أما عن توجيه الفرد فيرى أنه يؤثر في المجتمع بثلاث مؤثرات: بفكره وعمله وماله ، ومن هنا يجب أن نبحث في توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال.

(١) توجيه الثقافـــــــــــة

التوجيه الثقافي يعني توجيه الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية، كما يعني أيضا التوجيه الجمالي ، إذ الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة(٢)

ولقد حاول ابن نبي أن يفهم الثقافة في إطار التاريخ "إذ لا يمكن أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة ، والشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتماً تاريخه"(٣)

وبالتالي فإن معنى الثقافة يتحدد بما تحركه من قوى في الفرد وفي المجتمع ، الأمر الذي يجعلها أشبه بحالة نفسية واجتماعية ، وتتطور هذه الحالة بتطور المجتمع ، لكن الأدق هو أن يتطور المجتمع تبعا لهذه الحالة ، وهذا يتطلب تحديد الثقافة ، فهي:" تلك الكتلة نفسها بما تضمنه من عادات متجانسة ، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة ، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة ، أوهي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ، من عقلية ابن خلدون ، وروحانية الغزالي ، أو عقلية ديكارت ، وروحانية جان دارك وهذا هو معنى الثقافة في التاريخ"(٤)

ولقد انتقل مالك بن نبي من التاريخ إلى الإيديولوجيا كي يميز بين تعريفين للثقافة ، الأول يتحدد في نظرة الغرب لها ، بوصفها : "تراث الإنسانيات الإغريقية اللاتينية ، بمعنى أن

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٧٨

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٨

(٣) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص٧٦

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٧

مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان ، فهي في رأيهم : فلسفة الإنسان ، والثاني يجدها متحققة فيما يعرف بالبلدان الاشتراكية ، حيث يطبع تفكير ماركس كل القيم ، فالثقافة عنده فلسفة المجتمع(١)

ويهدف ابن نبي من ذلك وضع تعريف آخر للثقافة يختلف عن التعريفين السابقين معا، تعريف يربط فيه الثقافة بالناحية الاجتماعية والأخلاقية ، وانتهى فيه إلى أنها :" مجموعة من الصفات الخُلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"(٢)

والثقافة وفق هذا التعريف تشكل طباع الفرد وشخصيته، كما أنها تشكل المحيط الذي يعكس الحضارة ، لذا فهي تفترق عن العلم ،ولا تشكل جزءاً منه أو تابعاً له ، بوصفها أكثر أهمية وفاعلية من العلم.

ومن ناحية أخرى ربط الثقافة بالحضارة من حيث أنها محيط يحيط بالإنسان، وإطارا يتحرك داخله :"إنها الوسط الذي تتكون فيه كل خصائص المجتمع المتحضر وهي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعاً للغاية التي رسمها المجتمع لنفسه"(٣)

لكنه يحدد من الوجهة التربوية مشكلة الثقافة باعتبارها مشكلة توجيه الأفكار، فليس المهم: "أن ننتج أفكاراً بل يجب أن نوجهها طبقا لمهمتها الاجتماعية التي نريد تحقيقها"(٤)

(٢) توجيه العمـــــــل

ولكي تتحقق النهضة لابد من أن ينتقل المجتمع من حالة البطالة والعبث إلى حالة العمل الموجه ، إنه سير الجهود الاجتماعية في اتجاه واحد ، وهو عمل تطوعي له هدف تربوي لا كسبي كما يرى مالك بن نبي:" فإعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية عمل ، وتقبل هذه الحروف عمل ، وإزالة أذى عن الطريق عمل، وإسداء نصح عن النظافة أو الجمـــــال دون أن يغضب

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص٧٢

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٧

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٧

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٨

الناصح حين لا يصغى لنصحه عمل ، وغرس شجرة هنا عمل واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل ، وهكذا فنحن نعمل ما دمنا نعطي أو نأخذ بصورة تؤثر فى التاريخ فتوجيه العمل هو تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئة جديدة"(١)

(٣) توجيه رأس المـــــــال

تنبغي الإشارة إلى أن مفهوم رأس المال يختلف عن مفهوم الثروة وا ن كنا معتادين على الخلط بينهما ، فالثروة كما يقول ابن نبي :" شيء شخصي يستعمل للوجاهة الاجتماعي ،أما رأس المال فهو شيء غير شخصي منفصل عن صاحبه ، إنه المال المتحرك الذي يخلق حركة ونشاطاً ويوظف الأيدي والعقول(٢)

لكن هل من الممكن تحويل الثروة إلى رأس مال ؟

من الممكن تحويل الثروة إلى رأس مال ، وهذا بمثابة عمل نهضوي كما يري مالك بن نبي ، ولكن يجب أن تقوم بذلك هيئة مخططة تهدف إلى تحويل كل قطعة نقدية إلى كيان متحرك يخلق معه العمل والنشاط ، وتحويل أموال الأمة البسيطة بالتوجيه من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد ، وتكوين رأس المال ممكن، حتى في وطن فقير إذا ما اتحدت فيه الجهود وتوجهت نحو الصالح العام(٣)

سابعا: الـــــــدورة الحضارية عند مالك بن نبي

لقد انتهي مالك بن نبي بعد دراسته لتاريخ الحضارة إلى أن مسيرة الأمم تخضع لنظام دوري ، وهذا هو الذي يجعل الأمة في فترة من فترات تاريخها الحضاري تسجل مآثر عظيمة ، تبقى خالدة في سجل تاريخها ، كما تسجل عليها الهزائم الحضارية ، وغير ذلك من الحالات المرضية التي تهوي بالأمة إلى مهاوى التخلف والانحطاط في آخر طور من أطوار دورتها الحضارية ،و هذا القانـــــــــون طبيعي ؛ لأنه يخضع لنفس النواميس التي تخضع لها باقي

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٠٨

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩

(٣) المصدر نفسه ، ص١١٠

مخلوقات الله في الكون ، فاليوم يبدأ بالشروق ثم يتبعه الغروب ، والشهر كذلك يبدأ ببزوغ الهلال ثم يستكمل دورته لينتهي بعد ذلك إلى الزوال ليبدأ شهر آخر ، وفى هذا يقول مالك بن نبي: "إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية ؛ فإننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس ، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر"(١)

فالتاريخ كما يراه مالك بن نبي : عبارة عن كتلة من السنن والنواميس الإلـهية التي تتحكم في توجيه الأفراد والمجتمعات على السواء ،و لابد من استيعابهذه السُنن ، والسير على هداها ، أما الذين لا يستوعبون هذه السنن ؛ فإن حركتهم مضطربة لا يحكمها ضابط ، مما يؤدي إلى الدخول في فترة الخمول ، ومن عادة التاريخ ألا يلتفت للأمم التي تغط في نومها وا ٍنما يتركها لأحلامها التي تطربها حينا ،وتزعجها حيناً آخر"(٢)

ولكي يخرج المسلمون مما هم عليه الآن من سُبات حضاري لابد أن يستوعبوا سنن الله الثابتة في الكون ؛ لأنهم بهذا الاستيعاب فقط يمكن أن تكون حركتهم في التاريخ حركة ثابتة وهادفة بدل أن تبقى كما هي عليه الآن حركة عشوائية تحكمها الصدفة ، وتوجهها الأهواء الفردية والنزوات الشخصية ، فإذا ما حددنا مكاننا من دورة التاريـــــخ ، سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا[٣]و لاشك أن كل الحضارات الإنسانية خضعت لنفس هذا القانون الدوري(٤)

وا ٍذا أردنا المقارنة هنا بين فكر ابن خلدون وبين فكر مالك بن نبي ، فإننا ننتهي إلى أن التاريخ كان قبل ابن خلدون ضربا من الأحداث المتتابعة ، أما ابن خلدون فقد أدرك معنى تتابع الأحداث من حيث كونها عملية تطور ، كما حدد معنى الواقع الاجتماعي من حيث كونه مصدراً لتلك الأحداث وتطورها(٥)

---

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص١٩

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٩

(٣) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص٢٠

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٧

(٥) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، دار الفكر ، دمشق، الطبعة الرابعة ،١٩٨٧م ، ص٢٧

فمالك بن نبي ممن نبه إلى دورة الدولة في نظرية الأجيال الثلاثة وإن لم يتجاوزها إلى أفق الدورة الحضارية ، حيث رد نشوء كيانها إلى العصبية الأسرية(١) من هذا يكون التاريخ قبل ابن خلدون خالٍ من التحليل واستكشاف العلل التي توجه الأحداث ، أما هو فقد ادخل السببية ، وعلل معنى تتابع الأحداث ، كما قال بأن هناك دورة تمر بها الدولة ، ورد تشكيل الدولة إلى العصبية: "لأن السياسة لا تكون إلا بالغلب ، والغلب لا يكون إلا بالعصبية"(٢)

كما ذهب مالك بن نبي إلى أن نشأة الدول تمر بثلاثة أطوار ، طور البداوة وطور التحضر وطور التدهور(٣) ولقد اتفق ابن نبي مع ابن خلدون فى ذلك ولكنه رفض العامل الجغرافي كعلّة تامة في نظرية نشوء الحضارات ، حيث أعتبر الفكرة الدينية هي الأساس للمجتمعات وقيامها(٤)

---

(١) د. أحمد محمود صبحي : فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ن ، ص١٣٤

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق د.على عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،طبعة ٢٠٠٦م ، جـ ٢، ص٤٧٩

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٧٢

(٤) د. سليمان الخطيب : فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ص٧٨

الخاتمـــــــــــــة

هذه محاولة لكشف النقاب عن رؤية مالك بن نبي لفلسفة الحضارة ، وختاما لابد من الإشارة إلى بعض الملاحظات التي تتعلق بفلسفته فى هذا المجال.

أولا: على الرغم من اهتمام مالك بن نبي بقضايا الحضارة ومشكلاتها فإن ذلك لم يجعله ينحو بتحليلاته منحى التجريد والنظر البعيدين عن هموم الأمة الإسلامية وقضاياها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ،بل ظل على الدوام ملتصقاً بواقع الأمة ،وراصداً لمختلف التحولات التي تطرأ عليها.

ثانيا: نظرا لأهمية فكر مالك بن نبي وسمو اجتهاداته فإننا ندعو إلى ضرورة بذل المزيد من العناية بهذا الفكر ، وذلك بإعادة نشر مؤلفاته والتعريف بها وتعميق النظر في المفردات والمفاهيم والمعادلات والقوانين التي أبدعها بقصد استيعابها ، وتوظيفها لإيجاد الحلول المناسبة لكثير من المشكلات الحضارية المستجدة في الواقع.

ثالثا: تناول مالك بن نبي الكثير من المفاهيم والمصطلحات الرائدة والتي أصبحت اليوم مدخلاً لكل عمل فكري فهو الذي قال بمصطلح القابلية للاستعمار ، والذي عبر به عن حالة اجتماعية واقتصادية وثقافية سمحت للاستعمار باحتلال بلادنا، وأن التخلص من الاستعمار دون التخلص من هذه الحالة لن يجدي شيئاً، ولعل تجارب البلاد العربية والإسلامية بعد مرحلة الاستعمار المباشر قد أكدت هذا الأمر، فمع استمرار عوامل وأسباب القابلية للاستعمار فشلت مشاريع النهضة، بل وعاد الاستعمار بصورة أو بأخرى.

رابعا: لم تكن أفكار مالك بن نبيقتصرة على العالم الإسلامي ّ فحسب ، إنما تجاوزت ذلك وطرحت حلول لمشكلات المجتمع الغربي ّ وحضارته ، فالكل يمكن أن يستفيد منها بعكس التفكير الذي يتحرك داخل نطاق معين، أو يتأسّس على أيديولوجيا معينة.

خامسا: ولأن الحضارة مصطلح كغيره من المصطلحات يخضع لرؤية وتحليل لا يمكن الإجماع عليها بشكل نهائي ، فإن مالك بن نبي له نظرته حول الحضارة باعتبارها مشكلة العالم الثالث التي يحاول معالجتها، حيث يتميز بنظرته الشمولية فى تلك المعالجة.

سادسا: كان مالك بن نبي مفكرا مبدعا ، وصاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري ، فاهتم بمشكلة الحضارة، والنهضة، والثقافة، والاستعمار، فدرسها في كل مؤلفاته وبكل أبعادها ، وأبدع فيها، وطور بعض مفاهيمها ،وهذا ما جعله متخصصا في العمل الفكر ي، وصاحب أفكار تتجاوز الحساسيات الطائفية والمذهبية ، وتتمتع بالانتشار والقبول.

سابعا: تناول مالك بن نبي قضايا المجتمع الإسلامي في سياقها التاريخي والاجتماعي ، وعالجها بمنهج تحليلي تركيبي نقدي ، وبنظرة تأملية ، وتصدى للانحرافات التاريخية التي تقف عقبة أمام النهوض ، كما اعتمد في تحليله لعناصر الحضارة على الجانب الروحي في الإنسان ، كباعث أساسي لقيام أية حضارة ، وعلى دور الدين في تكوين الدوافع الاجتماعية.

ثامنا: نلاحظ أن هناك تشابهً ا بين أراءمالك بن نبي و أراء ابن خلدون ، فأراء مالك بن نبي وبخاصة تلك المتعلقة بجوانب الاجتماع والحضارة تمثل امتداداً وتطويراً لأفكار ابن خلدون.

المصادر والمراجـــع

أولا :المصادر والمراجع العربيـــــــة

١. إبراهيم (د.إبراهيم محمد رشاد) : العولمة وأثرها على العقيدة من منظـــــــور فلسفي بحث منشور فى المؤتمر الدولي التاسع للفلسفة الإسلامية ، بكلية دار العلوم . جامعة القاهرة، عام٢٠٠٤م.

٢. إبراهيم (د.حسين توفيق) : التطور الديموقراطي في الوطن العربي ، مجلة السياسة الدولية ، عدد١٤٢، لسنة ٢٠٠٠م.

٣. ..... : العولمة ، الأبعاد والانعكاسات السياسية ، عالم الفكر،الكويت ، مجلد٢٨ ،عدد٢، ديسمبر ١٩٩٩م.

٤. إبراهيم (د.حيدر): العولمة وجدل الهوية الثقافية ، عالم الفكر ، الكويت مجلد٢٨، عدد٢ ، ديسمبر ١٩٩٩م.

٥. بن الحسن (بدران بن سعود) : الظاهرة الغربية فى الوعي الحضاري ، نموذج مالك بن نبي ، كتاب الأمة ، ١٤٢٠هـ.

٦. ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة ، تحقيق د.على عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، طبعة ٢٠٠٦م.

٧. ابن نبي (مالك) : ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الإنشاء للطباعة والنشر ، طرابلس . لبنان ، توزيع دار الفكر بدمشق ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

٨. ..... :شروط النهضة ،ترجمة عمر كامل مسقاوي، د.عبد الصبور شاهين ، دار الفكر بدمشق ،١٩٧٩م.

٩. .....: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة محمد عبد العظيم علـــــي ، مكتبة عمار ،القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٧١م.

١٠. ..... : بين الرشاد والتيه ، توزيع دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولي، ١٩٧٨م.

١١. .....: تأملات ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، توزيع دار الفكر بدمشق الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م

١٢. ..... :المسلم في عالم الاقتصاد ، إصدار ندوة مالك بن نبـــــــي ، دار الفكر بدمشق ،١٩٧٩م.

١٣. ..... : وجهـــــة العالم الإسلامي ، ترجمة د.عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م.

١٤. .....:مذكرات شاهد للقرن ، ترجمة : مروان القنواتي ، الطبعة الأولي دار الفكر ، بيروت ،١٩٦٩م.

١٥. ..... : مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٨٤م.

١٦. ..... :الظاهرة القرآنية ، دار الفكر،دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧م

١٧. ..... :إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث .

١٨. ..... : فكرة كومنولث إسلامي ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٩٠م.

١٩. ..... : القضايا الكبرى ،دار الفكر المعاصر ، بيروت،١٩٩١م.

٢٠. أحمد (د.صلاح زكي): قادة الفكر العربي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولي ،١٩٩٣م.

٢١. الجليند (د.محمد سيد) : المسلمون وفقه اللـ ُنن الإلهية ، ضمن كتاب الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩م

٢٢. الخطيب (د.سليمان) : فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ن.

٢٣. العراقي (د.عاطف العراقي): العقل والتنوير فى الفكر العربي المعاصر ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولي ،١٩٩٨م.

٢٤. الميلاد (زكـي): تعارف الحضارات ، دار الفكر العرب ، دمشق ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٦

٢٥. الواعي (توفيق يوسف) : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربيةدار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٢٦. حنفي (د.حسن) : الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، الأشكال النظري ، المؤتمر المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩م.

٢٧. جعيط (هشام):أوربا والإسلام ، صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة ، بيروت١٩٩٥م.

٢٨. زيادة (د. معن) : مادة حضـــــــارة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولي ،١٩٨٦م

٢٩. سفر (محمود بن محمد) : الإصلاح رهان حضاري ، دار النفائس ، بيروت ،الطبعة الأولي ، ٢٠٠٥م.

٣٠. شفيق (منير) : الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ، دار البراق ، تونس ،١٩٨٩م.

٣١. صبحي (د.أحمد محمود) : فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ن

٣٢. ضاهر (مسعود): الثقافة العربيـــــة فى مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة ، مجلة العربي المعاصر ، بيروت ، عدد١٩٩٣م.

٣٣. ..... :التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٦م

٣٤. عارف (د.نصر): هندسة البناء الحضاري عند مالك بن نبي مقال بمجلة الفكر الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عدد أبريل ١٩٩٤م.

٣٥. عبده (الإمام محمد) : الإسلام دين العلم والمدنـــــية ، تحقيق د.عاطف العراقي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٣٦. مارتين (هانز بيتر. هارلد شومان) فخ العولمة ، الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة د. عدنان عباس علي ،عالم المعرفة . الكويت ، عدد ،١٩٩٨م

٣٧. مسعود (رشيد) : مادة ثقافـــــة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولي ،١٩٨٦م.

٣٨. مؤنس (د. حسين) : الحضارة دراسة فى أصولها وعوامل قيامها وتطورها ، سلسلة عالم المعرفة . الكويت ، عدد ٢٣٧،لسنة ١٩٨٨م.

ثانيا:المراجع الأجنبيـــــــــــة

1) John Balis and Stevesmith : The Globalization Of World Politics and Introduction to International ,relation London , 1997.

الفصل الخامس

علم الكلام ...رؤية نقدية

يمكننا أن نستخلص أن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية ، فهو بذلك يقوم بتوضيح العقيدة وشرحها بالأدلة العقلية ،وبذلك تكون لعلم الكلام مهمة دفاعية تتمثل في الرد على دعاوى الخصوم ،وذلك عن طريق إيراد الأدلة العقلية التي تبين تهافتها ، وعلى هذا يمكننا القول بان لعلم الكلام دور ايجابي في إثبات صحة العقيدة بالعقل ودور دفاعي يقوم بالدفاع عن العقيدة ضد الخصوم المنكرين لها ٠

فلقد لعب علم الكلام دورا كبيرا فى الدفاع عن الدين الإسلامي ضد التيارات والثقافات الأجنبية والتي كانت موجودة فى البيئة الإسلامية ،فلقد كان على الدين الجديد أن يدافع عن نفسه أمام هذه التيارات ، و قام بهذه المهمة علماء الكلام ، فالمتكلمون جميعاً متفقون على ضرورة مواجهة الثقافات الأجنبية والتصدي لها ، ولكن إذا كان هذا هو هدف المتكلمين فى البداية إلا أنه سرعان ما دب الاختلاف بينهم ، الأمر الذي أدى إلى فرقتهم وتشيعهم إلى فرق عديدة ٠

فهم إذا كانوا قد أخذوا بالدليلين معا الدليل النقلى والدليل العقلي ،فإنهم اختلفوا في مدى الأخذ بهما ، ولم يكن الأخذ بهما متوازناً عند كل الفرق ،وجعل أحدها الأصل والآخر الفرع ،فالمعتزلة قد رأت أن العقل هو أصل الشرع ، إذ أن صحة الشرع متوقفة على العقل ،فلايمكن أن نستدل على أصل التوحيد والعدل بدلالة السمع ، بل نستدل عليهما من جهة العقل ،لأن معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل ٠

أما بالنسبة للاشاعرة فإن معرفة الله تعالى عندهم واجبة بالسمع لا بالعقل ، ولقد حاول الاشعرى التوازن بين الدليلين العقلي والنقلى ،ولكن متأخرى الاشاعرة قد انتهوا إلى جعل العقل أصل الشرع وأنه لا يصح الاستدلال على الأصول الاعتقادية كمعرفة الله تعالى بالسمع ، بل يستدل عليها بالعقل ، ورأوا أن صحة السمع متوقفة على العقل ،وأن العقل هو الأصل وأن السمع هو الفرع ، ولا يجوز الاستدلال على الأصل من الفرع ٠

وكان هذا سببا فى اختلاف النظرة إلى علم الكلام بين مفكري الإسلام في اتجاهين متضادين ،بين مؤيد ومعارض لهذا العلم ، الفريق الأول يرفع مكانته ، حتى أن من أصحاب هذا الاتجاه من رأى أن تعليم هذا العلم يعد فرض كفاية ،وهناك اتجاه مضاد يرى أنه لا أهمية لهذا العلم ،بل إن ضرره أكثر من نفعه ، ولعل من مثل لهذا الاتجاه بعض رجال الحديث والفقة والصوفية ، ومن هؤلاء من ألف في ذم المتكلمين وذم علم الكلام ٠

وفى أدلة المؤيدين لعلم الكلام والمعارضين له ما يدل على اختلاف الأئمة حول هذا العلم وعلى أية حال نجد أن الذين رفضوا هذا العلم وعارضوه إنما هم بصورة أو بأخرى يمكن دلإجهم في إطار المتكلمين ، نظرا لأنهم عارضوا علم الكلام وهم لم يعارضوه عن جهل وا ٍنما عارضوه عن علم ،ومن ثم فإن الرد على الكلام إنما هو كلام أيضا ٠

ومما هو جدير بالملاحظة أن من أسباب النفور من علم الكلام أنه يعد في نظر الكثيرين مسئولا عن التفرق والاختلاف وأنه يرث الجدل والمراء إذ تكفر الفرق بعضها بعضا وتزعم كل فرقة أنها وحدها التي تعبر عن رأى الإسلام ٠

هذه إذن هي آفة علم الكلام بلا مراء ولكنها آفة لا توجب اعتباره مسئولا عن تفرق المسلمين ، لأن دور علم الكلام هو أن يسجل معتقدات هذه الفرق ولم يكن علة لها ، فالمسلمون افترقوا شيعا ومذاهب ، وتقدم علماء كل فرقة يدافعون عن مذهبهم ،وجاء علم الكلام حصيلة لهذا كله ، فليس لنا أن نتجاهل ما كان وا ٍنما أجدر بنا أن نعلله وأن نحيط بظروفه وملابساته وأن نتعمق في فهم دوافعه بنزاهة وموضوعية ٠

والآن نتساءل عن أهمية دراسة علم الكلام في العصر الحديث ؟ وهل لا يزال له دور من حيث أنه يهدف إلى بيان العقيدة وا ٍثباتها والدفاع عنها بالأدلة العقلية ضد شبهات الخصوم والمخالفين ؟ وهل يقف دوره على الزمن الذي كانت فيه هذه الفرق وقيامه بالرد عليها ؟ أم يتعداه إلى زماننا الحاضر و المستقبل؟

يمكن القول أن الفكر الإنساني عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات فيها الماضي والحاضر والمستقبل ، وتزداد هذه الصلة إذا كان موضوع الفكر يتصل بالعقيدة الدينية ، وعلم الكلام من حيث موضوعه يبحث فى العقيدة الدينية ويبين ما قام به المتكلمين من تدليل على العقيدة والدفاع عنها ، فلا غنى عن دراسة هذا الجانب التاريخي لنشأة علم الكلام ، والذي خصصت له الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب ، وكانا بمثابة مقدمة لدراسة علم الكلام

ولكن يجب ألا تقتصر الدراسة على هذا الجانب التاريخي فقط بل تتعداه ، لأن المقصود بتلك الدراسة فى العصر الحاضر ليس أن نبحث تلك المشكلات الكلامية من زاوية تاريخية ، بل يجب أن ننظر إليها من زاوية نقدية ، وهذه النظرة النقدية هي التى تساعد على إقامة علم كلامي جديد يفي بحاجة العصر ومتفقاً مع معطياته ٠

وهذه النظرة النقدية تعيننا على وضع قواعد عامة وأسس لإقامة علم الكلام الجديد يفي بحاجات العصر ومتفقا مع معطياته ، فإذا كان موضوع علم الكلام العقيدة ، وهى تقوم على العلاقة بين الله و الإنسان ، وإذا كان علماء الكلام قدموا تصوراتهم لهذه العلاقة ، فهذه التصورات كانت قائمة على العلم السائد في عصرهم ولاشك أن دائرة العلم اتسعت والتطور العلمي قد حدث في عصرنا الحالي واتسعت معرفة الإنسان بنفسه وبالعلم الطبيعي ولهذا لابد من أن تتغير تصوراتنا تبعا لتطور العلم٠

لهذا فإننا ننادى بضرورة أن يكون لنا فلسفة خاصة قائمة على تراثنا الكلامي والذي يمثل جانباً هاماً فى صياغة هذه الفلسفة ، وهذا يثبت الحجة إلى دراسة علم الكلام لبيان الفهم الصحيح للعقيدة وأصولها ٠

المصـــــــادر والمراجـــــــــع

١ ـ ابن الجـــــو زى : تلبيس إبليس ، نشرة : محمد منير الدمشقي ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ ٠

٢ ـ ابن المرتضـــى : المنية والأمل ، تحقيق د٠ على سامي النشار ، عصام الدين محمد ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٧٢م

٣ـ ابن تيميـــــة : درء تعارض العقل والنقل ،ج١،تحقيق د٠محمد رشاد سالم ،مطبعة دار الكتب ،القاهرة ،١٩٧١م٠

٤- ..... : منهاج السنة النبوية فى نقد كلام الشيعة والقدرية ، أربعة أجزاء ،طبعة بولاق مصر ، ١٣٢١هـ٠

٥ـ ابن حـــــــزم : الفصل بين الملل والأهواء والنحل ، المطبعة الأدبية القاهرة ، ج١ ،ج٢ ١٣١٧هـ ، ج٣،ج٥ ١٣٢٠هـ٠

٦ ـ ابن خلـــــدون : المقدمة ، تحقيق د٠ على عبد الواحد وافى ، القاهرة ١٩٦٠م٠

٧ ـ ابن خلـــــكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت ـ لبنان ، ١٩٦٨م ٠

٨ـ ابن عساكر : تبين كذب المفترى إلى ما نسب إلى الأمام الاشعرى مطبعة التوفيق بدمشق ،١٣٤٧هـ٠

٩ـ أبو ريدة (د محمد عبد الهادي) : النظّام وآراؤه الكلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦م٠

١٠ـ التفتازانى (د٠ أبو الوفا) : علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩م ٠

١١ـ الاسفراييني : التبصير فى الدين ،تحقيق زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٧٥هـ٠

١٢ـ الاشعرى (أبو الحسن) : كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ، تحقيقحمودة غرابه ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٥م

١٣ـ..... : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محي عبد الحميد ، جزأن ، مكتبة النهضةالمصرية ، القاهرة ، ج١ ١٩٥٠م، ج٢ ١٩٥٤م٠

١٤ـ ..... : الإبانة عن أصول الديانة ، تحقيق د٠ فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط١ ١٩٧٧م٠

١٥. ..... : رسالة الخوض فى علم الكلام ،طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٤هـ٠

١٦ـ الأمدى (سيف الدين) : غاية المرام فى علم الكلام ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،القاهرة ،١٩٧١م ٠

١٧ـ الإيجي (عضد الدين) : المواقف فى علم الكلام ،مكتبة المتنبي ، القاهرة

١٨ـ الباقلانى (أبو بكر الطيب) : كتاب التمهيد ، تحقيق الأب ريتشارد مكارثى اليسوعى ، المكتبة الشرقية ، بيروت ،١٩٥٧م ٠

١٩ـ..... : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، الخانجى القاهرة ،١٩٦٣م ٠

٢٠. البغدادي (عبد القاهر) :الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ

٢١ـ..... : أصول الدين ، مكتبة المثنى ، بغداد ،١٩٢٨م

٢٢ . التفتازانى(د٠ أبو الوفا):علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩م

٢٣ـالجرجاني (السيد الشريف): التعريفات ، تحقيق د٠عبد المنعم الحفنى ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩١م

٢٤. الجـر(د٠ خليل وحنا الفاخورى) : تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف ،بيروت ج١ ، ١٩٥٧م

٢٥. الجوينى (أبو المعالي) : الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد ،تحقيق د٠ محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٠م

٢٦ . ..... : الشامل فى أصول الدين ، تحقيق د٠ على سامي النشار ، د٠ فيصل بدير عون ، د٠ سهير مختار،منشأة المعارف ،١٩٦٩م٠

٢٧ ـ ..... : لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة تحقيق د٠ فوقية حسين محمود ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦٥م٠

٢٨. ..... : العقيدة النظامية ، تحقيق أحمد حجازي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ٠

٢٩ـ الخياط (أبى الحسين) : كتاب الانتصار ، تحقيق د٠ نيبرج ،لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ،١٩٢٥م ٠

٣٠ـ الخوارزمي (أبو عبد الله) : مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية، القاهرة ، ١٣٤٢هـ ٠

٣١. الرازي (فخر الدين) : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ،المطبعة الحسينية ،القاهرة بدون تاريخ٠

٣٢ـ الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ،مطبعة الحلبي مصر ، ١٣٨٥هـ ٠

٣٣ـ الشهرستانى (أبو الفتح): نهاية الإقدام فى علم الكلام ، نشرة الفرد جيوم ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٥م٠

٣٤ـ ..... : الملل والنحل ،تحقيق محمد سيد الكيلانى ،مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٧٦م٠

٣٥ـ الشيبى (د٠كامل مصطفى) :الصلة بين التصوف والتشيع ، دارالمعارف القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٩٦٩م٠

٣٦ـ العراقي (د٠ عاطف) : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م٠

٣٧..... : المنهج النقدي فى فلسفة ابن رشد ،دار المعارف القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٩٨٠م ٠

٣٨ـ الغزالي (أبو حامد) : الاقتصاد فى الاعتقاد ، نشرة الحلبي ، القاهرة ،١٩٦٦م٠

٣٩ـ ..... : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، تحقيق د٠ سليمان دنيا ، مطبعة الحلب ، القاهرة ، ١٩٦١م

٤٠ـ ..... : فضائح الباطنية ، تحقيق د٠ عبد الرحمن بدوى الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م ٤١ ـ القاسمى (جمال الدين): تاريخ الجهمية والمعتزلة ،مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٩م ٠

٤٢ـ المغربي (د٠على عبد الفتاح): الفرق الكلامية الإسلامية ،مكتبة وهبه، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٦م٠

٤٣ـ المقريزى (تقي الدين أحمد) : المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار،المعروف بالخطط المقريزية ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ

٤٤ـ النشار(د٠على سامي) : نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام، ج٢ ،دارالمعارف مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م٠

٤٥ـ النوبختى (أبومحمد الحسن) : فرق الشيعة ، صححه هـ ٠رتر ،استانبول ١٩٣١م ٠

٤٦ـ أل كاشف الغطاء (محمد) : أصل الشيعة وأصولها ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨م ٠

٤٧ـ أو ليرى (ديلاس) : الفكر العربي ومكانه فى التاريخ ، ترجمة د٠ تمام حسان ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م ٠

٤٨ـ بدوى (عبد الرحمن) : مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ج١ ،١٩٧١م ، ج٢ ،١٩٧٣م ٠

٤٩ـ ..... : التراث اليوناني فى الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦٥م ٠

٥٠ ـ جار الله (زهدي) : المعتزلة ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧م ٠

٥١ـ جاردية (لويس والأب قنواتي) : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ترجمة د٠ صبحي الصالح ، فريد جبر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج٢،١، ١٩٦٧م، ج٣ ١٩٦٩م

٥٢ م جولد تسهير : العقيدة والشريعة ، ترجمة محمد يوسف موسى ،دار الكتاب العربي ، مصر

٥٣ـ دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ،ترجمة د٠محمد عبدالهادى أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،١٩٥٧م٠

٥٤ـ صبحي (د٠أحمد محمود) : فى علم الكلام ، المعتزلة والاشاعرة ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٧٨م٠

والله ولى التوفيق ،،،،،،،،،،،،،،،